منهج الملك الإمام
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
-رحمه الله –
في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة

تأليف
د/ غازي بن غزاي بن عبد العزيز المطيري
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة بالجامعة الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين.

وبعد:

فإن دراسة حياة العباقرة والنابغين، وما تحفل به حياتهم من إنجازات عظام، سبقت زمانهم وفاقت قدرات أقرانهم، مدرسة عملية للأجيال، ومدعاة لاستخلاص العبر والدروس، وإصلاح الحاضر، واستشراف المستقبل، في ضوء الحقائق الموضوعية الماثلة في حياتهم، ولا جرم أن أحق الناس وأولادهم بالدراسة، زعماء الأمة وقادتها التاريخيين، الذين ابلوا بلاءً حسناً في سبيل خدمة أوطانهم وأمتهم، اعترافاً بفضلهم، وحفظاً لحقهم فلا تزال الأمة بخير – ما اعتزت بتاريخها المجيد، وعرفت حق أهل الفضل والعلم فيها، ممن تجتمع معهم في جذور واحدة، وأصول مشتركة، حيث من السهل حينئذ إعادة تاريخهم المجيد، وتطبيق تجربتهم، واختزان نجاحهم، وتوظيفه في رقي الأمة ونهضتها، وحق للشعب السعودي المسلم الأصيل، أن يسترجع بفخر واعتزاز سيرة مؤسس دولته الثالثة، الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله – الذي أجمع الباحثون الذين كتبوا عنه، على تعدد مواهبه، وعظيم شخصيته، وقوة شكيمته، وجلالة جهاده ومن العسير – والحالة هذه – الإلمام بجوانب حياته واستعراضها وتحليلها في بحث موجز، مما حملني على طرق جانب واحد، نال قسطاً كبيراً من اهتمام الملك الإمام تبدت فيه عبقريته، وظهرت في ميدانه نباهته، وذلك من خلال نهجه السديد في جمع القلوب المتنافرة، وتأليف النفوس المتناحرة، ورص الصفوف المتفرقة، حيث تكللت جهوده المباركة بنجاح رائع فريد، في أقل من ثلاثة عقود، وعنونته (منهج الملك الإمام عبد العزيز في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة) وتعظم أهمية هذه الدراسة في وقت تستعيد فيه المملكة العربية السعودية، ذكرى مرور مائة عام على تأسيسها في كيان متحد متلاحم الشعار والدثار، مما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع، اغتباطاً بتلك الذكرى الأثيرة على نفوسنا جميعاً، والتذكير بضرورة المحافظة على تماسكها، وتوظيف رصيدها في حماية الأمة من براثن التفرق، وويلات التحزب، ومآسي الشقاق، هذا واعتمدت في كتابة البحث على المراجع والوثائق العلمية الأصيلة التي تحدثت عن حياة الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – وهي أكثر من أن تحصى، ولم أجد عنتاً يذكر في إيراد الأدلة والبراهين والشواهد من حياة الملك الإمام وأقواله، على ما أريد تقريره فقد كانت حياته غنية بالإنجازات والمواقف الفذة، نالت اهتمام الباحثين والدارسين في عصره وبعده، وما من فصل في البحث إلا افتتحته بمقدمة موجزة لتهيئة ذهن القارئ لما أريد تقريره، وذيلته بخاتمة لتكون حلقة وصل لما بعده، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. أما المقدمة، فتحدثت فيها عن أهمية البحث ومنهجي في كتابته، وتضمن التمهيد تعريفاً موجزاً بالملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله -.

أما الفصل الأول: فاشتمل على أسس الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة.

أما الفصل الثاني: فتكلمت فيه عن وسائل الملك عبد العزيز – رحمه الله – في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة.

أما الفصل الثالث: فذكرت فيه أساليب الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة.

أما الفصل الرابع: فجمعت فيه نتائج منهج الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة.

أما الخاتمة: فتضمنت الدروس المستنبطة من منهج الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عموم المسلمين.

التمهيد

(التعريف بالملك الإمام عبد العزيز رحمه الله)

يلاحظ الباحث المدقق لسيرة الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – تحليه بصفات ومناقب ذات أثر بالغ في حياته أهلته -بفضل الله- إلى قيادة مبكرة، والتحفز نحو المقاصد العالية والأهداف السامية، حتى نال مرامه، وحقق أحلامه، ولم يزل بعد في مقتبل العمر ورواء الفكر، جامعاً بين رسالة الداعية وريادة المصلح وحنكة القائد، ملماً باتجاهات عصره ومتطلبات زمانه وثقافة وقته، زد على ذلك خلفية أسرية مفعمة بالطموح والمجد، وإرث معنوي ملء السمع والبصر.

نسب الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله -:

ينتهي نسب الملك الإمام إلى أرومة عربية، ضاربة في الأصالة، متجذرة في العراقة، فهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي من بني حنيفة بن ربيعة من نزار [١].

تولى جده الأول مانع المريدي إمارة الدرعية، والتي لم تزل في توسع في ممتلكاتها وحدودها [٢] نظراً لتعاظم دور الإمارة وأمرائها وقوتهم حتى انتهى الحكم إلى الأمير محمد بن سعود – رحمه الله – الذي قاده تعاونه ونصرته ومؤازرته الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – إلى تبوء أسرة آل سعود مكانة سامقة في تاريخ الجزيرة العربية أفضت إلى قيادة أمة مترامية الأطراف ضمت الجزيرة وأعرابها ودلفت إلى يمنها وعراقها وشامها في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد – رحمه الله – وابنه الإمام سعود بن عبد العزيز – رحمه الله - [٣] وبهذا تكون أسرة الملك الإمام ذات تاريخ معرق في الأصالة، باذخ الصيت في المجد، متجذر الأصول في الإمارة والملك زادها مناصرة دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – بعداً دينياً لا يرام وعزاً لا يضام، وأضحت رمزاً للوحدة الوطنية، وروحاً حية تبث روح الحياة في أوصال الأمة في أوقات الشدة وتكالب الأعداء عليها.

مولده:

ولد الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في قصر الإمارة في الرياض سنة 1297هـ [٤] في أوقات عصيبة عصفت بأسرته المباركة، حيث تفتحت عيناه على ملك مضاع، وشعب متناحر، وبيئة سياسية تتسم بالفوضى وعدم الاستقرار.

تعليمه:

منذ نعومة أظافره عبّ الملك الإمام من معين العلوم الشرعية، على أيدي علماء عصره وقراء زمانه الذين أولوه اهتمامهم وعطفهم، منهم الشيخ عبد الله الخرجي -رحمه الله-، الذي أخذ عنه القراءة، والشيخ محمد بن مصيبيح – رحمه الله – الذي درس على يديه الفقه، والشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ – رحمه الله – الذي درس عليه التوحيد في كراسة أعدها خصيصاً له [٥]. ولم يزل – رحمه الله – طالباً للعلم راغباً في تحصيله، حتى حفظ أجزاء من القرآن الكريم، واستظهر عديداً من المؤلفات، مثل الرحبية في الفرائض، والأربعين النووية، وبلوغ المرام، وقرأ الزاد كاملاً ثم توسع في القراءة الذاتية، فقرأ البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الطبري، وكان رحمه الله محباً للأدب يحفظ الشاهد والمثل، ويتمثل بهما في خطبه وحواراته، مكثاراً للقراءة العامة، محافظاً على حزبه من الأذكار، وحفلت مجالسه حتى آخر حياته بمجالس العلم ومذاكرته سماعاً ونقاشاً، وقد رزقه الله سرعة البديهة وألمعية النظر وفرط الذكاء وعقلاً متفتحاً متنوراً لا يضيق ذرعاً من النقاش بل يستدعيه وينميه [٦].

تنقلاته ورحلاته:

اضطر الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود – رحمه الله – إلى الخروج من الرياض تحت وطأة الضرورة، فرأى من المصلحة التنقل، إلى حين سنحان الفرص، واهتبال الفُرَج، وانكشاف الكُرب، فاصطحب ابنه عبد العزيز، فنزل في بادية العجمان وآل مرة، فتعلم فيها ضروب الفروسية من ركوب الخيل والضرب بالسيوف والطعن بالرماح يقول – رحمه الله – "أنا ترعرعت في البادية، فلا أعرف التلاعب بالكلام، وتزويقه، ولكني أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق" [٧] وبين تضاعيف كلام الملك الإمام ما ينبئ عن مكنون قوة شخصيته، وصلابة قناته. وفي فترة مبكرة من عمره أسند إليه والده بعض المهام الصعبة الملائمة لتكوينه واستعداده، فشارك في مفاوضة ابن رشيد والإصلاح بين القبائل، والوفادة على الأمراء والشيوخ رسولاً وسفيراً من قبل والده -رحمهما الله- [٨].

وبانتقاله مع والده إلى الكويت، اكتسب من مخالطة داهية العرب في وقته (مبارك الصباح) أمير الكويت – رحمه الله – خبرة ومهارة في التعامل مع الأحداث، والتعرف على القوى الخارجية وسياستها في المنطقة، والوقوف عن كثب على الصراعات الدولية في مناطق النفوذ، ومن هناك بدأ يخطط لوحدة بلاده، ولم شعثها، وجمع كلمتها، يحدوه أمل غير محدود، بنجاح طلبته، وأحقية مهمته، وهو يعلم أن قلوب الشعب وسيوفهم معه، فقد ضاقوا ذرعاً من الانشقاقات والنزاعات ولم

١عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ج2 ص12، وانظر الوجيز ص9، وصقر الجزيرة ص80 للعطار.
٢الوجيز ص9 – 10.
٣المصدر السابق ص92.
٤المصدر السابق ص7-5- المصدر السابق ص18-19 شبه الجزيرة الزركلي ج1 ص59.
٥الوجيز ص17 .
٦الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة للدريب ص29 الوجيز 186-209-306 البلاد العربية السعودية ص30 فؤاد حمزة.
٧شبه الجزيرة للزركلي ج2 ص794.
٨الوجيز ص 18-19.

تزدهم الإمارات المتسلطة يومئذٍ إلا بؤساً وظلماً يقول – رحمه الله – "أنا قوي بالله تعالى. ثم بشعبي، وشعبي كلهم – كتاب الله في رقابهم وسيوفهم بأيديهم يناضلون – ويكافحون في سبيل الله، ولست أدعي أنهم أقوياء بعددهم أو عُددهم وكلهم أقوياء – إن شاء الله بإيمانهم" [٩].

وفاته:

قضى الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- عمراً مديداً مباركاً في زراعة بذرة الوحدة، وسقيها بالإيمان والجهاد، حتى أينعت ثمارها وحان قطافها بالأمن والأمان، والسعادة والاطمئنان، وفي رحلته السنوية التي اعتاد قضاءها في الربوع المقدسة، لرعاية الحجاج من قرب، قعد به المرض في مدينة الطائف قبل أن يبلغ وجهته، مما اضطره إلى إنابة ولي عهده الملك سعود -رحمه الله- للذهاب إلى مكة في موسم عام 1372هـ، بينما اشتدت وطأة المرض عليه، وفي صبيح الاثنين 2 ربيع الأول سنة 1373هـ انتقل إلى جوار ربه ونقل بالطائرة إلى الرياض ودفن بها [١٠] -رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن المسلمين والإسلام خير الجزاء-.

أهلية أسرة الملك الإمام وخصائصها الوحدوية:

لم تكن أسرة الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – غريبة على سكان الجزيرة العربية، فهم من بني جلدتهم، وبضعة من لحومهم ودمائهم، يتقاسمون بينهم الآلام والآمال، وتاريخهم شاهد على نزاهتها من النقائص، واستعلائها على الأهواء والأطماع، فليس لحي من أحياء العرب من الحظوة والمكانة القيادية ما لأسرة الملك الإمام، وذلك للأسباب التالية:-

1 – تجذر الملك والحكم في أصولها، فلم يكونوا حديثي عهد بملك، بل أخذوه كابراً عن كابر، يقول الملك الإمام: "أنا عربي من خيار الأسر العربية ولست متطفلاً على الرئاسة والملك، ولست ممن يتكئ على سواعد الآخرين في النهوض والقيام، وإنما اتكالي على الله، ثم على سواعدنا يتكئ الآخرون ويستندون إن شاء الله" [١١].

ومن عادة العرب أنها لا تنسى مآثر ذوي المكرمات وتعرف لذوي الهيئات منازلهم مهما تعرضوا للنكبات وطوارق المدلهمات، فسرعان ما تلتف حولهم الخاصة والعامة، عند أول بادرة نهضة ويقظة وهدة، كما هو حال تاريخ أسرة الملك الإمام.

2 – ارتباط أسرة الملك الإمام – رحمه الله – بنصرة الدين الحق، وتجديده مما أكسب حكمها سلطاناً على القلوب لا يزول أثره، ولا يحمي ذكره، يقول الملك الإمام: "نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة نحن دعاة إلى العروة الوثقى" [١٢] ولا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إنها الأسرة الوحيدة التي قام ملكها في جزيرة العرب بعد العهد النبوي والراشدي على أسس دعوية صحيحة، ولا أدعي هذا الفهم لنفسي فقد سبقني إليه الدكتور محمد البهي - رحمه الله - الذي قال بإنصاف - يشكر عليه - حين الحديث عن التعاضد بين الإمامين: محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله – "وبهذا التعاضد اجتمع لهذه الدعوة سلطان الحاكم وقوة الإيمان، وقلما اجتمع الأمران في حركة دينية بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين سوى هذه الحركة" [١٣] وصدق فيهم قول الإمام الشوكاني – رحمه الله – في أبيات له:

هم الناس أهل البأس يعرف فضلهم   جميع بني الدنيا فما للمجادل

وقد جاهدوا في الله حق جهاده   إلى أن أقاموا بالظي كل مائل

لقد نصروا دين الإله وحزبه   كما دافعوا داعي الهوى بالقنابل [١٤]

3 – ابتعاد أسرة الملك الإمام عن التسلط والظلم، واتسمت سياستهم بالصبغة الشرعية، حتى في أوقات الشدة بخلاف ما اشتهر عن كثير من أفراد الأسر الحاكمة (أحياناً) من الظلم والاعتداء، واغتصاب حقوق الناس وممتلكاتهم، وقد تمتع القضاء تحت ظل حكمهم باستقلالية ونزاهة، لا سلطان لغير شرع الله عليه، وقد أشار أحد الباحثين إلى علة انتصار أسرة الملك الإمام بقوله: "تمكن آل سعود من السيطرة على البلاد لما قاموا به، من جليل الأعمال كما كانوا وما زالوا أكثر الأسر التي حكمت الجزيرة منذ زوال الملكية من أيدي العرب تفانياً في إحقاق الحق وإزهاق

---

٩ الوجيز ص 186.

١٠ المصدر السابق ص 186.

١١المصدر السابق ص186.

١٢المصحف والسيف ص62 محي الدين القابسي.

١٣الحركة الوهابية ص13 لخليل هراس.

١٤تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص111 لعبد رحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الباطل وإعلاء كلمة الله في السر والعلن" [١٥].

4 – لم يعهد من سياسة أسرة الملك الإمام – رحمه الله – الانحياز إلى فئة دون أخرى، أو تأليب بعضها على بعض، مما حفظ لهم مصداقية، ونزاهة أمام الأمة (فلا يكاد أمير سعودي، يظهر حتى يتسابقوا في تأييده ونصرته، ويتراكضوا إلى بيعته والانطواء تحت رايته لا يتعاونون مع غيره، ولا ينقادون مع سواه، مادام ذلك في مقدورهم وفي حيز استطاعتهم ومرد ذلك ما عرفوه بالتجارب الكثيرة المتتالية عبر التاريخ، وعبر الأيام من زائد الإخلاص في محبتهم، واهتمام بشؤونهم وحرص على إقامة العدل بينهم [١٦]، وباشر الجميع تحت حكمهم العمل بتفان وإخلاص في محيط تحفظ فيه الحقوق، وتصان الحرمات، وتتكافأ فيه الفرص أمام الجميع كل على قدر أمانته وكفاءته، فهم أبعد الناس عن التحزب والوقوع في براثن العنصرية والفئوية والقبلية، ومن هنا كان حكمهم بلسماً شافياً، ودواء كافياً ورحمة وسلام، وبهذه المعطيات الراسخة تمثلت أمام الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – بارقة أمل لا ينقطع في العودة إلى الوطن، ولم شعثه، ورتق فتقه، يؤازره في ذلك رجال صالحون من آل بيته، وعموم علماء الدعوة وفي مقدمتهم أسرة آل الشيخ المباركة الطيبة، وغالب رجالات العرب العرباء وأبطالهم النجباء – رحم الله الجميع رحمة واسعة – وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الفصل الأول

أسس منهج الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة

ما من منهج سديد يروم الكمال ويسعى إلى التأثير، إلا حرص مخططوه ومنظروه على إقامته على دعائم راسخة وقواعد جامعة، تؤكد أحقيته في البقاء وصيرورته في النجاح والإثراء، وقد حرص الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – في سبيل تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة، أن يقيم منهجاً يتسم بالشمولية والاستيعاب لحاجة عصره ومراحل جهاده، توظف فيه مناقب العرب، وفق وجهة إسلامية رشيدة، تنتهي إلى وحدة شاملة، تنطلق في البناء والإعمار، راشدة موفقة، ينعم بها القريب، ويسعد بها البعيد، وتبقى منارة هدى ومثابة أمن وأمان، للأجيال الحاضرة والقادمة، وعليه وطد منهجه على أسس وقواعد، بنيت عليها الوحدة الكبرى بين أبناء شعبه وأفراد أمته، بما لا يستطيع أحد زعزعته، أو النيل منها، ومن أهمها:

المبحث الأول: العقيدة الصحيحة:

ورث الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – عن آبائه وأجداده، موروثاً علمياً وزاداً حضارياً، أخذه عن علم وبصيرة، وطبقه بنية صادقة، وإرادة قوية، أحدثت معجزة باهرة في جميع أمة مقطعة الأوصال، مختلفة الرؤى متناقضة الأهداف، فانصهرت جميعها في بوتقة الإيمان، وحدة متماسكة وبنية متشابكة، فسعى إلى إعادة هذا الموروث، والاستناد إليها في كل خطوة نحو الوحدة، وطبقها بعلم مكين، وفهم دقيق، وفقه راسخ رشيد، جنبه -بفضل الله- الوقوع في المحاذير والآفات التي تورطت فيها الفرق والطوائف المختلفة. يقول الملك الإمام عن الفهم الصحيح للعقيدة "عقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح، نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق بين الأئمة: مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة كلهم محترمون في نظرنا" [١٧] ويقول رحمه الله "أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الخلفاء الراشدين، أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه، إلى أقوال الأئمة الأربعة، فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين، أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك" [١٨].

فسعى بإخلاص إلى إعادة هذا الموروث السلفي – الذي يلزم عموم المسلمين فجعله محور دعوته ولب جهاده، مع يقينه بأثرها الناجح في تربية شعبه ونهضته، يقول -رحمه الله-: "مثل هذه البادية في حياتها، كمثل أرضها تظل قاحلة، إلى أن يسقيها الغيث فإذا سقيت أخضرت وأزهرت، كذلك هي في رجالها، تستمر عصوراً وهي مستغرقة في جهالتها، ويبرز فيها رجل يحسن تنظيمها وتوجيهها، فتنقلب الحياة في كل ناحية من نواحيها" [١٩]. فعقيدة التوحيد في نظر الملك الإمام، قوة متجددة تؤدي دورها التجديدي في بعث الأمة ووحدتها في كل أوان، متى أراد أهلها ذلك، وتهيئة الأسباب المعينة على ذلك، ومن أهمها بعد توفيق الله – وجود مصلح حكيم، يحسن تنظيمها نحو الإصلاح – كمثل الملك الإمام – رحمه الله – فكان إشهار هذا الدواء الناجح ضرورة شرعية، وحاجة بشرية، يقتضيها خطاب الشرع الحنيف في كل زمان ومكان، فضلاً عن

---

١٥ تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ج1 ص28 لصلاح الدين مختار.
١٦ من حياة الملك عبد العزيز ص129 للأحيدب.
١٧ الوجيز ص 216.
١٨ المصدر السابق ص216.
١٩ المصدر السابق ص29.

ظروف الجزيرة العربية وأحوالها الاجتماعية والسياسية، والتي عادت بعد سقوط الدولة السعودية الثانية إلى سبل التناحر والتقاتل، فأعلن -رحمه الله- لشعبه منذ خطواته الأولى أنه لم يأت لإحياء مكاسب دنيوية، وكثيراً ما يقول مبتهلاً في دعائه المنيب: "اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر، وإن كان قصدي خلاف ذلك، فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل"[٢٠] ولم يكن ترسيخ العقيدة في نفوس أبناء العرب بالأمر الهين، ولاسيما بعد طول عهدهم بمعرفتها، فقد واجه الملك الإمام مصاعب عدة، تنبثق من جبلة العرب، ونزعتهم نحو الحرية والاستقلالية وأنفتهم الشديدة من الانصياع للنظام، يقول ابن مانع رحمه الله: "لقد كان من أعظم مشكلات ابن سعود في بناء دولة مستقرة تلك المشكلة التي واجهت كل زعيم في الصحراء وهي نزعة رجال القبائل الجادة إلى الاستقلال، وحبهم للحرب وسرعة تغيير ولائهم"[٢١] ولكنه رحمه الله سعى بلباقة وحكمة وجلد إلى توجيه حماس العربي لقبيلته ومنازلها، إلى هدف عقدي يجتمعون على تحقيقه، ويكسبون معيشتهم بسببه، ويتحقق لهم الأمن والطمأنينة على مائدته، مما يستوجب ذلك تغيير المفاهيم السائدة والمصطلحات الراسخة يقول -رحمه الله-: "إني أريد تغيير نزعة العرب إلى الحرب، وعدم جعلها الأسلوب الوحيد أو الأقوى لتحقيق الأهداف حتى يشعروا بأنهم في جماعة واحدة"[٢٢] فكانت عقيدة التوحيد خير وسيلة لتغيير نزعة العرب إلى الحرب، ولم تكن العقيدة الصحيحة عند الملك شعاراً رناناً للاستهلاك المحلي، كعادة أصحاب الشعارات الطنانة والرايات الرنانة، يقول -رحمه الله-: "إني أفضل أن أكون على جبل آكل من عشب الأرض أعبد الله وحده، على أن أكون ملكاً على سائر الدنيا، وهي على حالتها من الكفر والضلال، اللهم إنك تعلم إني أحب من تحب، وأبغض من تبغض، إننا لا يهمنا الأسماء والألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق واجب التوحيد"[٢٣] ولذا نراه لا يحاب أحداً حين القدح في جانب التوحيد، فقد زاره أحد الزعماء العرب المشهورين، ودار بينهما حوار، وأراد الضيف أن يؤكد أمراً قائلاً: وحياة رأسك فنظر إليه الملك الإمام وقال: "قل والله"[٢٤] ويعلو صوته، ويشتد غضبه إذا ما جانب أحد من رعيته عقيدة التوحيد، ولو كان مدحاً له ففي زيارته إلى الخرج سنة 1363هـ دخل عليه شاعر واستأذنه. في قصيدة مطلعها:

أنت أملنا وفيك الرجا

فصاح الملك الإمام في وجهه قائلاً: "تخسأ – تخسأ" ولمح في المجلس أحد طلبة العلم فقال: "علمه التوحيد"[٢٥] وقد اقترن قوله بفعله في تربية شعبه على التوحيد، فمكنه من قيادة الإصلاح في جميع نواحي الحياة، وسخر العلم لتوجيه الناشئة من صغرهم، ليتولى العلماء تدريسه في حلقاتهم ودروسهم، ويطبقه القضاة في محاكمهم، ولم يحاب فيه أحداً كما تقدم. فحلت العقيدة الصحيحة في قلب الملك الإمام وسياسته موضع الاهتمام البالغ والتحكيم الحازم، وعلى فلكها يدور منهجه، وجهاده وإصلاحه غير آبه لمعارضتها أو مجامل لمخالفتها، مهما كانت المكاسب يقول الدكتور عبد الله التركي -حفظه الله-: "عرف عن كثير من الساسة الذين يهمهم المكسب السياسي فحسب – أنهم يعاملون الناس ويداهنون العامة في أمور العقائد بل إنهم من يشارك العامة في خرافاتها ووثنياتها رغبة في السلطة وطلباً للتأييد، وكان من مقتضيات المجاراة العرفية في منطق السياسيين الذين يضحون بالعقيدة من أجل أهدافهم السياسية أن يجاري الملك عبد العزيز بعض الأعراف وطوائف البدع والخرافات التي تنال من جلال التوحيد، ولكنه لم يفعل لأن التوحيد أعلى وأسمى وأعظم من أي اعتبار آخر، بل فعل ذلك حيث عقد العزم على تطهير الجزيرة من كل عرف أو تقليد أو عادة أو خرافة تفسد على الناس توحيدهم الخالص، وهذه طريقة لا يستخدمها في الانتصار للعقيدة إلا داعية موحد لا يقايض على التوحيد بشيىء"[٢٦] لقد جعل الملك الإمام الاهتمام بالعقيدة أصل الأصول أساساً للحكم ووصية لعقبه من بعده ففي وصيته لولي عهده يقول فيها: "تعقد نيتك على نية صالحة، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد"[٢٧] وليس ثمة وصف يصح إطلاقه على جهود الملك الإمام سوى تلك المقولة التي قالها الملك الإمام "أنا داعية أدعو إلى عقيدة السلف الصالح"[٢٨].

٢٠من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه ص9 سعد الرويشد.
٢١توحيد المملكة للمانع ص71.
٢٢الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ج1 ص217.
٢٣جريدة أم القرى العدد 989 سنة 1363هـ.
٢٤الوجيز ص185.
٢٥الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة للدريب ص 23.
٢٦الفكر والدعوة في عهد الملك عبد العزيز ج1 ص266-267.
٢٧الوجيز ص59.
٢٨الوجيز ص 216.

المبحث الثاني: تطبيق الشريعة:

من البدهي أن يكون تطبيق الشريعة، قاعدة أساسية في منهج الملك الإمام عبد العزيز رحمه الله في سبيل جمع فلول أمته على مائدة أحكام الشريعة، التي يتفيأُ الجميع ظلال عدالتها وبركة قسطاطها، ليغدوا أخوة متحابين، تسودهم المودة، وتغشاهم المحبة وتلك نتيجة طبيعية للعلاقة الوطيدة بين الشريعة والعقيدة في نفس الملك الإمام، فإن تمكنها في نفسه وسريانها في روحه ودمه، استلزم حتماً تطبيقها بمفهومها الشامل، ليقينه بعدالتها المطلقة، وضرورتها الملحة في إزالة أسباب الجفوة بين أفراد شعبه، وكفالتها بإزاحة العوائق أمام الوحدة الكبرى لبلده، فبدأ بنفسه، يقول الملك فيصل رحمه الله: "إن والدي لا يفرق بيننا وبين أبناء شعبه، وليس للعدالة عنده ميزانان، يزن بأحدهما لأبناءه، ويزن بآخر لأبناء الشعب فالكل سواء عنده والكل أبناؤه"[٢٩] وتلك آية حرصه على تكامل حلقات الإصلاح، وسد ثغراتها، مما يؤدي إلى تحقيق العدالة، وتقوية البنية الاجتماعية ولذا نراه يؤكد على هذا المعنى بقوله: "لا يدوم الملك إلا بدولة عادلة"[٣٠] فلم يكن -رحمه الله- رجل دولة محنكاً، أو قائداً عسكرياً مظفراً فحسب بل جاوز ذلك إلى داعية مخلص، ومصلح اجتماعي متنور، وعالم إسلامي متمكن، جعل من تطبيق الشريعة الإسلامية غاية وهدفاً لتحقيق الأهداف السامية، والإصلاحات العظيمة. يقول -رحمه الله-: "إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعونني إن شاء الله تعالى لعدم الجموح بالنفس وقد عاهدت الله على ثلاث:

1 – الدعوة لتعلم التوحيد، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل.

2 – الأخذ على يد السفيه وتحكيم السيف فيه.

3 – الإحسان إلى المحسن والعفو عن المسيئ"[٣١].

وقد أنجز ما وعد وحقق – بفضل الله تعالى – ما جاهد من أجله وجد وقال على الملأ مبيناً نهجه الذي يسير عليه في تطبيق الشريعة "إن كتاب الله ديننا، ومرجعنا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دليلنا، وفيها كل ما نحتاجه من خير ورشاد، ونحن من جانبنا سنحرص إن شاء الله كل الحرص على إقامته واتباعه، وتحكيمه في كل أمر من الأمور"[٣٢].

وبهذا النهج القويم انطلق الملك الإمام مسترشداً بشرع الله وتطبيقه نحو تأليف الأمة، وضم أقاليم الجزيرة بعضها إلى بعض معلناً ومؤكداً في كل مرة، هدفه وغايته من ذلك. ففي سنة 1343هـ قال قبل خروجه إلى الحجاز "إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله، إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة، وتأييدها فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلا الشرع"[٣٣] ولا يجد الناظر تأويلاً لهذا الاهتمام الكبير من قبل الملك الإمام بتطبيق الشريعة سوى الإيمان الجازم بأحقيتها في الحكم، ويقينه الراسخ بدورها العظيم في الإصلاح، ولم شعث الشعب الممزق، ووحدته الضائعة، وقد تكللت جهوده المباركة بإقامة دولة الإيمان والوحدة (المملكة العربية السعودية) وأعلن في النظام الأساسي للحكم أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي والوحيد للمملكة فقد ورد فيه ما نصه "جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح"[٣٤] فاقترن القول بالعمل في ثنائية لا تعرف الانفصام في حياة الملك الإمام وتمثل منهجه، في تطبيق الشريعة في مسلك إيماني عميق، وصدق حين قال –رحمه الله-: "دستوري، وقانوني، وشعاري، دين محمد صلى الله عليه وسلم فإما حياة سعيدة، وإما موتة سعيدة"[٣٥] فحقق الله مرامه وقامت دولة التوحيد والشريعة على يد الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – مهابة الجانب، متماسكة الجوانب، جددت الدين، ورفعت لواء الدعوة إلى الله، ومدت يد العون إلى عموم المسلمين، وتحت سلطان الشريعة وقوتها استوى الشعب السعودي في الحقوق والواجبات، واستبدل بالثأر القبلي، الحد الشرعي، وبالسلوم والأعراف، أحكام الشرع الحنيف، ورضي الجميع بحكم الله، فساد الأمن وطهرت البلاد من الفتن، وضربت المملكة مثلاً في الأمن يؤتسى، وأسوة في العدل تقتدى.

المبحث الثالث: القيام بحقوق الرعية:

إن شعور المصلح الحق، بمعاناة الناس، وسعيه في حاجاتهم آية بينة على صدقه، وبلوغه درجة الإشتقاق، التي ميزت أولي الهمم العالية الذين أفنوا حياتهم في خدمة البشرية، وليس

٢٩من حياة الملك عبد العزيز للأحيدب ص39.

٣٠توحيد المملكة العربية السعودية لمحمد المانع ص357.

٣١جريدة أم القرى العدد 228.

٣٢حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز ص84 لطفي جمعة.

٣٣المصدر السابق ص83.

٣٤شبه الجزيرة للزركلي ج1 ص354.

٣٥أم القرى العدد 432 سنة 1351هـ.

من شك أن التفاف الشعب حول الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – لم يكن من فراغ، أو نتيجة حملهم قسراً أو ساقهم إليه بعصاه، بقدر ما عرفوا عنه الاهتمام البالغ بمشكلاتهم وسعيه الحثيث في خدمتهم، وكفاية حاجاتهم، فنظروا إليه والداً حنوناً لصغيرهم وأخاً شفيقاً لكبيرهم، فأطعم جائعهم وكسا عاريهم، وداوى مريضهم وأمن خائفهم فقد كان يبادر إلى ما في خزائنه الخاصة وخزائن الدولة من مال فيأمر بالإنفاق منه على إطعام القبائل المجدبة أرضها وعلى الأفران تمون بالدقيق لتوزيع العيش (الخبز) على أهل المدن مجاناً، وكان يقول -رحمه الله-: "إنما يهمنا توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا"[٣٦] واستطاع بفضل الله أن يخرج شعبه من ظلمات الجهالة المطبقة، والغفلة المستحكمة إلى نور العلم والهداية، ومن براثن التخلف إلى مراقي التقدم والحضارة، ومن سغب الجوع ورقة الحال إلى بحبوبة العيش والحياة الكريمة اللائقة بالإنسان. لقد أدرك الملك الإمام أن حياة الناس واجتماعهم، لا تستقر في بيئة ينهش المرض فيها أجسادهم، ويطوي الجوع أحشائهم، ويسم الفقر حياتهم فنذر نفسه لخدمتهم شعوراً بالواجب والتزاماً بالمسؤولية يقول –رحمه الله-: "إن خدمة الشعب واجبة علينا لهذا نخدمه بعيوننا وقلوبنا، ونرى أن من لا يخدم شعبه ويخلص له فهو ناقص"[٣٧] ولم يقتصر خيره على شعبه بل سرى إلى أمته الإسلامية والعربية يقول -رحمه الله-: "وخدمة الإسلام والعرب واجبة علينا بصفة عامة وخدمة شعبنا بصفة خاصة"[٣٨] وأناط المسؤولية بكل وال.

يقول رحمه الله مخاطباً رعيته: "ولابد أنكم سمعتم أننا ألزمنا ولاة الأمور بالنظر في شؤون الرعية، وجعلناها أمانة في أعناقهم، فعليهم أن يقوموا بالواجب والنفع للشعب، وأن يجتهدوا في تحقيق ما عليهم من حقوق وما لهم من واجبات"[٣٩] واتخذ خطوات عملية جادة، تلامس شغاف القلوب، وتأسر النفوس، فأستنهض الهمم، وجند الطاقات، وسخر الموارد لمحاربة الأدواء السارية وألوان الفقر المدقع ومظاهر الجهل المختلفة، وقد تكللت جهوده المباركة بنجاح منقطع النظير يقول أحد شهود العيان: "ومن رأى هذا الشعب من عشرين سنة لا يكاد يصدق عينه، حين يرى تلك الجهود الضخمة التي تبذل في جميع المجالات العلمية والإعلامية والصحية والاجتماعية وحين يرى شباباً متفتحاً على الحياة، يسير بخطى واسعة في طريق التقدم والبناء، وبالجملة فهي حركة ناهضة، تحارب التخلف، في كل صوره"[٤٠]. فكانت جهود الملك الإمام بمثابة الأسس الرئيسية التي قامت عليها صروح النهضة والتنمية لبلاده، وهي تمثل في حقيقتها نقلة جذرية لحياة جديدة لم تكن معهودة من قبل يقول اللورد اوف حاكم كندا: "شهدت بنفسي عندما زرت المملكة العربية السعودية، ماذا صنع الملك عبد العزيز لرفاهية شعبه، لقد استقر السلام والأمن في البلاد التي كانت من قبل تمزقها المنازعات الداخلية، وأتيح لي أن أشهد كيف تم الاعتراف به ملكاً وزعيماً على شعبه الذي أضاء له حكمه الطريق إلى الارتقاء في جميع النواحي الاجتماعية والثقافية"[٤١] ولا يمكن بحال حصر الخدمات التي قدمها الملك الإمام لشعبه – والتي سرت إلى عموم أبناء العرب والمسلمين، وفي إشارة لآثاره الخيرة وما تؤول إليه جهوده المباركة يقول: "إذا وفق الله أولادي كما وفقني فسوف يتولون مقدرات مائة مليون مسلم"[٤٢] فصدق ظنه، وحق حدسه، فالكل يلمس ما تقدمه المملكة العربية السعودية، من بذل وعطاء، طال خيره سائر الشعوب العربية والإسلامية.

المبحث الرابع: تحقيق الأخوة:

لا يستقيم الاجتماع البشري، وينتظم العمران الإنساني، ما لم يتحقق الوفاء بين أفراده، بأداء واجبات اجتماعية، وحقوق إنسانية، تنظم العلاقة بين أفراد الجنس البشري، على وجه سوي، تصان به الحرمات، وتحفظ فيه الحقوق وذلك هو الفارق بين حياة الإنسان، وسائر العجماوات، وإنما تتفاضل المجتمعات في استقرارها وسعادتها على قدر فهمها والتزامها بما تمليه عليه الحقوق والواجبات من أنماط سلوكية ومعاملات سوية، وقد تفطن الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – إلى حاجة مواطنيه، إلى المصالحة الوطنية، والوحدة الأخوية، بعد دهور عديدة من العداء المستحكم، أفرز كماً لا حصر له من الثأرات المتبادلة، والفتن الجاهلية التي عصفت بشعب الجزيرة العربية زمناً ليس بالقصير، فليس من السهل والحالة هذه، إحداث تغيير جذري في أنماط التفكير والسلوك، إلا بما يشبه المعجزة، مما حمل الملك الإمام على تجنيد عديد من الوسائل المتنوعة، لتشكل في مجموعها تياراً جارفاً من قنوات الإصلاح، وعوامل البناء،

٣٦الوجيز ص223.

٣٧عبد العزيز وعبقرية الشخصية الإسلامية ص377.

٣٨المصدر السابق ص377.

٣٩عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ص377.

٤٠الحركة الوهابية 52 لخليل هراس.

٤١عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ص248-429.

٤٢السعوديون والحل الإسلامي ص35.

وأسباب التواصل، وفق مضامين ثابتة وأسس راسخة، وقواعد متينة، تحيط بأفراد الأمة جميعاً، لتصهرهم في بوتقة الوحدة والمؤاخاة، شعباً متجانساً، وكياناً متوحداً، فجعل – رحمه الله – من نفسه قدوة صالحة لرعيته، فعفا عن كل خصومه ومضطهدي مواطنيه، وقابل الإساءة بالحسنى، واستل بلطفه سخيمة القلوب، وجعلهم في حل مما سلف، واتصل وأبناؤه الكرام بنسب إلى كثير من القبائل، فوصل حبلهم بحبله، وودهم بوده، وحرص على أن تسير المصالحة الوطنية وفق آداب الدين الحنيف وقواعده، فأمر بإقامة الصلاة جماعة في سائر القرى والمدن، ووكل رجالاً أكفاء بالدعوة إليها، وتأديب من تهاون في أدائها، وتجسد ذلك في (هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وألغى جميع النعرات الجاهلية، التي كانت عاملاً في تفتيت وحدة الأمة، وتدل خطواته الحكيمة على العناية الفائقة بالوحدة، مهتبلاً كل سانحة ومقتنصاً كل فرصة عارضة، ويوم دخل الحجاز منتصراً ومظفراً دعا علماء نجد والحجاز إلى مائدة مستديرة، تطرح فيها الآراء بحرية كاملة، وتغربل على بساطها مسائل الخلاف الصالحة للنقاش، وقد انفض الاجتماع عن اتفاق في وجهات النظر في جميع المسائل مما أزال الغمة عن القلوب، وكبت جهود أعداء الوحدة، الذين سعوا إلى تشوية سمعة علماء الدعوة السلفية، بمختلف الأكاذيب وألوان الدعايات المغرضة، وانعكس هذا الاجتماع الناجح بدوره على سكان نجد والحجاز، فقامت بينهم أخوة إيمانية راسخة لم تزدها الأيام والسنون إلا رسوخاً كما قال الملك الإمام: "إنا نحمد الله على جمع الشمل، وعلى جعل الحكم في هذه الديار، بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[٤٣] فتغيير ما بأنفسنا يعود علينا بالضرر، وهذا الضرر هو أعظم من الجهل والفساد والجرائم، فالواجب عليكم، هو معرفة الله تعالى، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك البدع والخرافات، والتأدب بآداب الشريعة، وتوثيق عرى الألفة وأواصر النصيحة والإخلاص"[٤٤] وقد أكرم الله تعالى شعب المملكة بهذه الوحدة الإيمانية، تحت راية التوحيد كما قال الملك خالد – رحمه الله –: "لقد وحد جلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله – هذه المملكة تحت راية التوحيد الخالدة، لا إله إلا الله محمد رسول الله"[٤٥].

وقد كانت أسس الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – بمثابة قواعد منهجية ورؤى مسلكية، لداعية مصلح، وقائد حكيم، بذل ما في طاقته مستخدماً ما وقع تحت يده من الوسائل المباحة والمتاحة، لتصير تلك الأسس واقعاً عملياً مثمراً، يفيض بالألفة، وينمو بالمحبة، ويقوى بالتعاون، من خلال وسائله المختلفة، وقنواته المتعددة.

٤٣سورة الرعد آية (11).

٤٤المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود البديوي ص 296.

٤٥المصدر السابق للبديوي ص296.

تابع لمنهج الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

الفصل الثاني

وسائل تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة عند الملك الإمام عبد العزيز آل سعود - رحمه الله -.

ترتبط المقاصد الكبرى بوسائلها العظمى – كماً وكيفاً – ويتفاضل رواد الإصلاح على قدر نجاحهم في تحقيق أهدافهم المرسومة، وخططهم المحددة، دون تنازل عن ثوابتهم ومبادئهم، ولا يغيب عن الذهن، أن قيام فرد واحد ببناء أمة وإصلاح شعب وتوحيد فئات متناحرة، مهمة في غاية المشقة والخطورة، لا يستطيعها إلا القلة الأكفاء، الذين ألهمهم الله التوفيق وأخذ بأيديهم وسدد خطاهم، فحققوا ما عجز عنه غيرهم، وبنوا ما هدمه خصومهم، ولا مست جهودهم شغاف القلوب ومشاعر الوجدان، ووقعت في حياة الناس موضع الشفاء للمريض المضنى، والري للناهل الصادي، ويأتي في طليعتهم في هذا العصر الحديث الملك الإمام عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – الذي استخدم ما وقع تحت يديه من الوسائل المتاحة والمباحة شرعاً لتحقيق ونبذ الفرقة بين مواطنيه، وأبناء جلدته ومن أهمها:

المبحث الأول: الجهاد في سبيل الله:

اقتضت ضرورة المرحلة، إلزام الملك عبد العزيز – رحمه الله – اقتحام لجج المخاطر ولجب المهالك، وركوب الصعب والذلول، لإزالة العقبات الصادة والسدود المانعة أمام الكبرى، مما ليس منه بد فقد بدأ بقوة صغيرة – زهاء أربعين رجلاً – خرج بهم من الكويت على حين غفلة من أعين أعداءه وهو لا يشك أبداً في نجاح أعدائه مهمته، المتمثل في إزالة رمز سلطة ظالمة، وطغمة حاكمة، أطبقت بكلكلها على رقاب العباد، ولم تراع حرمة، أو تحفظ حقاً؛ وبمجرد أن سمع الناس صوت الصارخ بعد فتح الرياض الملك لله ثم لعبد العزيز – إلا وانعطفوا إليه انعطاف الأم الرؤوم على ابنها المفقود، وأقبلت الرياض بعلمائها وأعيانها فرحين مستبشرين، بعهد جديد، طال انتظاره، ولما عظمت مسؤولية التحدي أمام جهود الملك الإمام، وأقبلت قوى الشر بقضها وقضيضها، اضطر إلى مقابلة القوة بمثلها على قدر استطاعته وإمكانياته، يقول الأمير نايف بن عبد العزيز – حفظه الله – عن الملك الإمام: "لم يثن عزيمته، قلة ما معه من عتاد ولا تردد في إنفاذ مسيرته الفذة، رغم قلة العدد من الرجال، ولا توقع الاستحالة في اجتياز الفيافي والجبال، بل اندفع بقوته وقدراته المحدودة مستمداً العون من الله الذي آزره وقواه – من إرادته حتى واجه التحديات المختلفة، وفرق الخصوم والحشود بلا تردد ولا خوف"[١] ولم يكن ذلك حباً في الحرب، وتعلقاً بها حيث قال: "لست من المحبين للحرب وشرورها وليس أحب إلي من السلم والتفرغ للإصلاح"[٢]. مما يدل على أن الحرب كانت ضرورة، دفع إليها دفعاً، ولم يلجأ إليها إلا بعد استنفاذ كافة الوسائل.

يقول الملك فيصل -رحمه الله-: "وهو يتوخى حل المشكلات بالسلم، كما أنه يتسامح مع خصومه، واسع الصدر، لا يدخر وسعاً في استخدام المرونة، ووسائل اللين، ولا يلجأ إلى الشدة حتى يستنفذ هذه الوسائل"[٣]. ولكنه لا يتردد في استخدام القوة إذا تعرضت العقيدة والوطن إلى المخاطر يقول -رحمه الله-: "عندي أمران لا أتهاون في شيىء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يحاول النيل منهما ولو بشعرة.

الأول: كلمة التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة.

الثاني: هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفرقة وأعزهم به بعد الذلة، وكثرهم بعد القلة فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حياضه"[٤]، ومن أجل ذلك أعد جيشاً قوياً على عينه، ورباهم على نهجه، حتى خلصت نفوسهم من الشوائب وقدموا أرواحهم عند النوائب، يبتغون نصرة الدين الحق وسماهم جنود التوحيد يقول رحمه الله: "إن ورائي ما لا يقل عن أربعمائة ألف مقاتل، إن بكيت بكوا، وإن فرحت فرحوا، وإن أمرت نزلوا على أرائي، وإن نهيت انتهوا، وهؤلاء هم جنود التوحيد"[٥] وبهذا الوصف الدقيق لجيشه، واجه قوى الشر وأعداء الوحدة، وقد تعرض رحمه الله للأخطار، وأصيب في جسده مرات عدة، ولم يثنه ذلك عن هدفه يقول رحمه الله: "لقد أوذينا في سبيل الدعوة إلى الله وقوتلنا قتالاً شديداً، ولكنا صبرنا وصمدنا"[٦] ولم تزل ندب الجراح باقية في جسده شاهدة على تلك المعاناة الملحمية يقول أحد وزرائه: "خاض عبد العزيز أكثر من مائة معركة، ولما مات وجدوا على جسمه ثلاثاً وأربعين ندبة

١المصدر السابق ص301.
٢الوجيز ص 48.
٣المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ص295.
٤أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح العمراني والديني في جزيرة العرب للفقي ص1-11.
٥السعوديون والحل الإسلامي لجلال كشك ص 587-588.
٦جريدة أم القرى العدد 333 عام 1349هـ.

وأثر جرح"[٧] ولكنه خرج من هذه جميعاً منتصراً بفضل الله تعالى ثم إيمانه العميق بنصر الله وعدالة قضيته المتمثلة في جمع أمته وإقامة شريعة الله وتحكيمها بها ونشر الدعوة الإسلامية يقول رحمه الله: "إن ربي لم يعطني ما أعطاني من قوة مني بل أعطاني ما أعطانيه عن ضعف مني وقوة منه، اعتدت أن أحزم أمري وأجمع ما استطيع جمعه من قوة وأحياناً يفوتنا النصر مع القوة الكبيرة، حتى إذا قل عددنا، وكاد اليأس يقرب من القلوب هدانا الله إلى الطريق التي نسلكها للنصر، فيفتح لنا لنعلم أن النصر من عنده يؤتيه من يشاء"[٨].

المبحث الثاني: إقامة الدولة المسلمة:

لا ينكر بحال أثر السلطان الصالح في استتباب الأمن، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتوحيد صفوف الأمة في منظومة واحدة، توثق فيها عرى الأخوة والمودة بين أفراد الوطن الواحد، وليس من شك أن تأليف القلوب واجتماعها على إمام واحد يسوس الأمة بالكتاب والسنة، من أجل نعم الله بركة، وأكثرها نفعاً وخيراً لا يقتصر فضلها على فرد، أو يخص قوماً دون قوم، بل يسري تأثيرها إلى الحياة برمتها، فيحفظ الله بالسلطان الصالح ما ضاع من الحقوق، وما ضيع من الواجبات وما انتهك من الحرمات، وما انخرم من العهود والمواثيق، اتفاقاً مع الاجتماع البشري الذي لا يقوم أوده، وينسق أمره على الفوضى السياسية، والتشرذم الاجتماعي والتقاتل الفئوي، الذي من مفرزاته المشئومة الحروب الأهلية المبددة للطاقات والمنزعة في سفك الدماء، وانتهاك الحرمات ولا سيما في بلاد مترامية الأطراف كحال جزيرة العرب، مما دفع الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – إلى إقامة دولة مسلمة ذات شوكة، يقودها إمام مسلم، تتوفر فيه شروط وآداب الإمامة والإمارة الشرعية، تكون سياسته بلسماً شافياً لأدواء المجتمع ومفتاحاً لأمان الوطن، ونبراساً للإشعاع الحضاري، ومظلة للهداية وتحكيماً لشرع الله على نحو قوله تعالى: **{الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}**[٩] طبق الملك الإمام مضمون هذه الآية الكريمة، وأصل منطوقها في النظام الأساسي للحكم بعد إعلان دولته كما ورد نصه:

"الدولة دولة ملكية شورية إسلامية – مستقلة في داخلها وخارجها، إدارة المملكة بيد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وهو مقيد بأحكام الشرع، جميع أحكام المملكة تكون منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح"[١٠] فقامت دولته المباركة على نهج السلف الصالح، أخذت على عاتقها نشر الإسلام الصحيح، وكان الملك الإمام ينوه بذوي الكفاءات الفاعلة والعاملة لخدمة الإسلام والمسلمين قائلاً: "إني أفتخر بمن خدم الإسلام والمسلمين، وأعتز بهم، بل أخدمهم، وأعطيهم وأساعدهم، وإنني أمقت كل من يحاول الدس على الدين، وعلى المسلمين، ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانةً"[١١].

وبهذه الرؤية النورانية الواضحة أقام الملك الإمام دولته السعودية السلفية والتي تدرج في إعلانها مراعياً الظروف المناسبة لاكتمالها، وتحرير كامل أرضها، من براثن الفرقة، وعوامل التجزئة، وأسباب الخلاف والكراهية، ولم تلبث أن شقت طريقها نحو المجد والعلياء بخطى ثابتة جامعة بين الانفتاح على الجديد النافع واستيعابه والتكيف معه باستقلالية متميزة، والمحافظة في الوقت نفسه على شخصيتها وتراثها انطلاقاً من دستورها الشرعي الصالح لكل زمان ومكان، وأضحت -بفضل الله- رائدة العالم الإسلامي أجمع، تشرئب إليها الأعناق وتتعلق بها الأفئدة، محتضنة لمؤسسات ومنظمات إسلامية فاعلة حملت على كاهلها هموم العالم الإسلامي وقضاياه.

المبحث الثالث: نشر العلم:

إن إدراك الحقائق الماثلة، والتعامل معها بوعي مستنير، مسلك حضاري ومظهر إيماني، ينم عن عقلية متزنة، وفهم بصير، وعند الإخلال بهذه المعطيات، ينفرط عقد الحقيقة، وتغيب وسط دياجير الغفلة وحوالك الظلم المفضي إلى الخلافات المستعصية، والثارات الدائمة، والخلاف المتكلف الممجوج، ولقد حرص الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – منذ خطواته الأولى نحو الوحدة ونبذ الفرقة، على إنارة العقل العربي، وتزويده بمدارك الفهم والعلم على أسس متينة، وثوابت علمية، حيث أدرك بثاقب بصره، ونور بصيرته، وسداد رأيه، أن أكثر ما يعانيه مواطنوه – قبل الوحدة – من انحراف عقدي وصراع قبلي، وتخلف اقتصادي يرجع إلى مكنة الجهل في صدورهم، والفراغ في عقولهم، والقسوة في قلوبهم، فعالج – رحمه الله – كل ذلك بالقيام بحركة علمية واسعة النطاق، في طول البلاد وعرضها، وفق منظومة مترابطة الحلقات، فكلف الدعاة، وشجع العلماء، وعين القضاة، وبثهم في البلاد هداة مرشدين، وأساتذة مبجلين، لاجتثاث الجهل من جذوره، وتوطين العلم في أصوله، ومحاصرة الغفلة في مكمنها، وإخراجها من قمقمها، رغم ضيق

٧الوجيز ص330.
٨الوجيز ص330.
٩سورة الحج آية 41.
١٠شبه الجزيرة للزركلي ج1 ص354.
١١عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ص156.

ذات اليد، ولم يلبث حتى خرج من رعيته علماء محققون وفقهاء مدققون، ومتخصصون في جميع المجالات، وقامت في عصره نواة نهضة علمية مباركة أذكى جذوتها، وأشعل أوارها، أبناؤه البررة من بعده وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – الذي تولى وزارة المعارف في بداية تأسيسها.

وكان الملك الإمام – رحمه الله – يزور بنفسه مدارس العلم ويشجع الطلبة على التزود بالعلم والتحصيل، ومن ذلك قوله: "أبنائي، إن من كان فيكم، من بيت رفيع، فليحرص على أن لا يكون سبباً في خفضه، ومن كان منكم، من بيت آخر فليبني لنفسه مجداً فقد منّ الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير فاعلموا فلعلمكم منتظرون"[١٢].

وقد بلغ عدد المدارس المختلفة بمراحلها في عهد الملك الإمام وبالتحديد في سنة 1373هـ 326 مدرسة، و 1652 مدرس و 43724 طالب[١٣] هذا عدا الحلقات العامة في المساجد، والرحلات الدورية للعلماء، فضلاً عن المرشدين المستوطنين في سائر القرى والأرياف والأقاليم والذين عينهم الملك الإمام، بحيث لا توجد قرية دون مدرس أو معلم وخير مثال يضرب في هذا المجال، ما قدمه الملك الإمام من تشجيع ومساعدة وعون للشيخ الداعية (القرعاوي) –رحمه الله-، في سبيل نشر العلم والمعرفة في جنوب المملكة حيث بلغت المدارس 2800 مدرسة وبلغ عدد الطلبة 175 ألف طالب منهم 15 ألف طالبة[١٤] ولم يقتصر اهتمامه بنهضة شعبه ورقيه فحسب بل دعا إلى نهضة العرب، ولزوم أخذهم بالأسباب المدنية، إذ يرى أن العلم سبيل حتمي لنهضة العرب والمسلمين، ولا مندوحة من الدخول من بابه، والعكوف في محرابه يقول رحمه الله: "إذا نهض العرب مرة أخرى، وأخذوا بقسطهم العلمي في سائر العلوم المادية، فإنهم لا يأتون ببدعة، بل يعتبرون محيين لعهد آباءهم، الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن وقدموا خدمات لا تنكر"[١٥].

وجاءت دعوته للعلم، بريئة من نفثات الفكر العلماني، الذي عشى نظر وعقول كثير من الأدباء والمفكرين من أبناء العرب إذ يقول -رحمه الله- رداً عليهم: "يقولون إن المسلمين في تأخر وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين، فما وجدوا طريقة أمامهم، إلا أن يقلدوا الأوربيين، فيما لم يكن سبباً لقوتهم ومنعتهم بل قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم"[١٦].

المبحث الرابع: عقد المؤتمرات:

لا ينكر بحال، أثر تبادل الآراء، وغربلتها في استخلاص النتائج الصحيحة والسلامة من عثرات الرأي الفطير الذي يؤدي دائماً إلى النتائج العكسية، ولا جرم أن اجتماع ذوي الرأي والمشورة مفتاح كل المعضلات، وتفادي كثير من الأزمات، التي مردها الانغلاق والاعجاب بالذات، ولم تغب هذه الحقائق عن ذهن الملك الإمام عبد العزيز – رحمه الله – الذي مرت جهوده نحو الوحدة، ونبذ الفرقة بعدد من المشكلات المتكررة، مما حمله إلى دعوة أهل الحل والعقد عند ظهور بوادر أزمة أو استفحالها، جمعاً للقلوب، ودفعاً للشبهات والأراجيف والدعايات الكاذبة، ومن أول تلك المؤتمرات ما تم في سنة 1320هـ. حين حضر العلماء وكبار رجالات الرياض وأعيانها بعد صلاة الجمعة وأعلن فيه الإمام عبد الرحمن الفيصل – رحمه الله – نزوله عماله من حقوق الإمارة لكبير أبنائه عبد العزيز، وأهدى إليه سيف سعود الكبير، نصله ومنصبه محلاة بالذهب وقرابه مطعمة بالفضة، وفي سنة 1345هـ دعا الملك الإمام إلى مؤتمر لزعماء الإخوان عقده في الرياض، شرح فيه سياسته ومنهجه في الاصلاح، ورد فيه على جميع الشبهات والأكاذيب فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة، والمحافظ عليها، وأنه هو الذي يعهدونه من قبل لم يتغير كما يتوهم بعض الناس، ولا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين. وفي سنة 1347هـ. دعا إلى مؤتمر في الرياض حضره 347 من العلماء والزعماء، ورؤساء الحواضر والبوادي، عدا من انضم إليهم من كبار رجالاتهم حتى قدر عدد الجميع بثمان مائة، وافتتح المؤتمر في جمادى الأولى بخطبة ارتجلها قال فيها: "أيها الإخوان، تعلمون عظم المنة التي منّ الله بها علينا بدين الإسلام إذ جمعنا بعد الفرقة، وأعزنا به بعد الذلة، واذكروا قوله تعالى: **{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ}**[17] الآية، إن شفقتي عليكم وعلى ما منّ الله به علينا، خوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[18] كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان لتذكروا.

١٢جريدة أم القرى العدد 342 سنة 1350هـ.
١٣الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ت: محمد ناصر الشثري ج 1 ص244.
١٤المصدر السابق ج2 ص787-794.
١٥جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه ص113.
١٦جريدة أم القرى العدد 333 سنة 1349هـ.
١٧سورة التوبة، من الآية (105).
١٨سورة الرعد، من الآية (11).

أولاً: ما أنعم الله به علينا، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة.

ثانياً: لأمر بدا في نفسي وهو أني خشيت أن يكون في صدر أحد شيىء يشكوه مني أو أحد من نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه، أو يمنعه حقاً من حقوقه، فأردت أن أعرف ذلك منكم، لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك، وأكون قد أديت ما عليّ من واجب.

ثالثاً: لأسألكم عما في خواطركم، وما لديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم.

أيها الإخوان إن القوة لله جميعاً، وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فرقاً وأحزاباً، يقتل بعضكم بعضاً، وينهب بعضكم بعضاً وجميع ولاة أمركم من عربي أو أجنبي كانوا يدسون لكم الدسائس، لتفريق كلمتكم، وإضعاف قوتكم لذهاب أمركم، ويوم خرجت كنت محل الضعف، وليس لي من عضد ومساعد إلا الله وحده، ولا أملك من القوة إلا أربعين رجلاً تعلمونهم، ولا أريد أن أقص عليكم ما من الله به عليّ من فتوح، ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم، لأن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم وأنتم تعلمونه جميعاً، وكما قيل السيرة تبين السريرة. إنني لم أجمعكم اليوم خوفاً أو رهبة من أحد منكم، فقد كنت وحدي قبل ذلك، وليس لي مساعد إلا الله، فما باليت الجموع، والله هو الذي نصرني، إنما جمعتكم كما قلت لكم خوفاً من ربي، ومخافة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار، جمعتكم هنا لأمر واحد، ولا أجيز لأحد أن يتكلم هنا في غيره، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي، فيجب أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع، أما الأشياء الخارجية عن هذا، فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة للنظر فيها.

أريد منكم أن تنظروا أولاً فيمن يتولى أمركم غيري، وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم فاختاروا واحداً منهم تتفقون عليه، وأنا أقره وأساعده، وكونوا على يقين أني لم أقل هذا القول استخباراً، لأنني ولله الحمد، لا أرى لأحد منكم منة عليّ في مقامي هذا، بل المنة لله وحده، ولست في شيىء من مواقف الضعف. لا يحملني على القول إلا أمران.

الأول: محبة راحتي في ديني ودنياي.

والثاني: إني أعوذ بالله من أن أتولى قوماً وهم كارهون لي فإن اجتمعوني إلى هذا فذلك مطلبي، ولكم أمان الله فإن من يتكلم في هذا فهو آمن، ولا أعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله، وإن كنتم لا تزالون مصرين على ما كلمتموني به إثر دعوتي لكم، فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع في اتباع ما تجمعون عليه، مما يؤيده شرع الله وهنا ارتفع صياح الحضور "لا نريد بك بديلاً لن نرضى بغيرك" واستمر في الخطابة فقال: "إذا لم يحصل ذلك منكم، فأبحثوا في شخصي وأعمالي، فمن كان له عليّ - أنا عبد العزيز - شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه، أنه حر في كل نقد يبينه ولا مسؤولية عليه، وإني لا أبيح لإنسان من العلماء، ولا من غيرهم، أن يكتم شيئاً من النقد في صدره، وكل من كان عنده شيىء فليبينه، ولكم عليّ، أن كل نقد تذكرونه أسمعه، فما كان واقعاً أقررت به، وبينت سببه، وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه، وما كان غير بين، وهو عندكم منه شيئاً، أما الذي تظنونه مما لم يقع، فأنا أنفيه لكم، وأحكم في كل ما تقدم شرع الله، فما أثبته أثبته، وما نفاه نفيته.

أنتم أيه الإخوان، ابدوا ما بدا لكم، وتكلموا بما سمعتموه، وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم، أو من نقد موظفيه المسؤول عنهم، وأنتم أيها العلماء، اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض، وستسألون عما سئلتم عنه اليوم ، وعما أئتمنكم عليه المسلمون، فابدوا الحق في كل ما تسألون عنه، لا تبالوا بكبير ولا صغير، بينوا، ما أوجب الله للرعية على الراعي، وما أوجب للراعي على الرعية، في أمر الدين والدينا، وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته، وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من الأمور، التي تسألون عنها، ولكل من تكلم بالحق عهد الله وميثاقه، أنني لا أعاتبه، وأكون مسروراً منه، وأني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء، والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه، أيها العلماء، فإني أعمل فيه عمل السلف الصالح، إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله أو قول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة.

إياكم أيها العلماء ، أن تكتموا شيئاً من الحق، تبتغون بذلك مرضاة وجهي، فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة. أظهروا الحق وبينوه وتكلموا بما عندكم".

بهذا الخطاب العظيم، الذي حوى بين دفتيه، ما يصح أن نطلق عليه منهج الملك الإمام في السياسة الشرعية، حيث تجلت فيه سمات الحاكم المخلص الذي ينشد الحقيقة، ويتفانى في بذل النصح لرعيته، ولا يستنكف من النقد، مما يجعل جميع الطروحات الفكرية في السياسة المعاصرة تتصاغر أمام هذا الطرح السليم والمنهج القويم الذي أوضحه الملك الإمام عبد العزيز - رحمه الله - على الملأ جهاراً نهاراً، بمصداقية وإلحاح اقترن فيها الوعد بالوفاء، والقول بالعمل، والفهم بالدليل بوضوح وجلاء، لا لبس فيه ولا خفاء، وصل إلى حد التنازل عن الملك من أجل سلامة الذمة، وبراءة العرض، ونقاء السريرة وصحة العمل، بإصرار لا مواربة فيه، وحث لا لبس معه حتى إذا عرف أنه لن يطاع فيما أمّله، دعا إلى النظر في سياسته ووضعها تحت مجهر النقد، مذكراً العلماء بمسؤوليتهم وعظيم أمانتهم في وجوب النصح لولاة الأمر - ويقول من حضر ودوّن ما رأى فيه، إن العلماء أجابوا، بأنهم يبرأون إلى الله من كتمان ما يظهر لهم من الحق، وأعلنوا أنهم ما نصحوه إلا انتصح ولو رأوا في عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه، وهم ما رؤا منه إلا

الحرص على إقامة شعائر الدين، واتباع ما أمر به الله ورسوله[١٩].
وفي سنة 1248هـ دعا الملك الإمام إلى اجتماع، في قرية الشعراء بين الرياض ومكة، وتم الاجتماع في أول جمادى سنة 1348هـ للنظر في أحوال بعض العصاة ومن شايعهم الذين هددوا الوحدة ونزعوا إلى الفرقة، رغم الإعذار لهم والصفح عن مسيئهم والإحسان إليهم[٢٠] ومن المؤتمرات خارج نجد المؤتمر الذي دعا الملك الإمام إلى عقده في مكة المكرمة سنة 1344هـ وجاء في نص الدعوة الرسمية "خدمة للحرمين الشريفين، وأهلهما، وتأميناً لمستقبلهما، وتوفيراً لوسائل الراحة للحجاج والزوار، وإصلاحاً لحال البلاد المقدسة من سائر الوجوه، التي تهم المسلمين جميعاً، ووفاء بوعودنا التي قطعناها على أنفسنا، وميلاً في تكاتف المسلمين وتعاضدهم في خدمة هذه الديار الطاهرة – رأينا الوقت المناسب لانعقاد مؤتمر عام يمثل البلاد الإسلامية والشعوب الإسلامية يكون في 20ذي القعدة 1344هـ وقد أرسلنا الدعوة لكل من يهمه أمر الحرمين من المسلمين وملوكهم وأملي أن مندوبيكم سيكونون حاضرين في التاريخ المحدد والله يتولانا جميعاً بعنايته"[٢١] وقد أدت هذه المؤتمرات أهدافها في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة ففي المؤتمر الأول حددت معالم النظام السياسي للدولة الناشئة، ودفع عن البلاد شبح الفراغ السياسي، وأعاد للجزيرة العربية نواة وحدتها المشروعة المتمثل في إعادة أسرة الملك الإمام، الذي تعد أمل أبناء الجزيرة دون استثناء، وفي المؤتمر الثاني نجح الملك الإمام في إزالة الشبهات والترهات، التي أشاعها العصاة، وفي المؤتمر المنعقد سنة 1345هـ إزدادت أواصر الوحدة ووشايجها بين أفراد الأمة، وتأكد للملك الإمام بما لا يدع مجالاً للشك أن الوحدة الوطنية بخير، ولا خوف عليها من تهديد فئة قليلة شاذة، لا تمثل رأياً عاماً، وأن جميع أفراد الأمة يقفون خلفه صفاً واحداً. وفي مؤتمر قرية الشعراء، وضعت الخطوط العريضة لتأديب أعداء الوحدة، أما مؤتمر مكة المنعقد في سنة 1344هـ، فقد كانت خطوة موفقة جداً، حققت أهدافها كاملة، حيث اجتمع أهل الرأي والفكر من عموم العالم الإسلامي، وأطمأنوا بأنفسهم على رعاية الملك الإمام للبلاد المقدسة، واطلعوا على حقيقة الدعوة السلفية، وعرفوا عن كتب حقيقة الواقع على الأرض، واطمأنوا بأنفسهم أن الأراضي المقدسة، بأيدي مؤمنة أمينة، فكان هذا المؤتمر فرصة ذهبية لإزالة جميع المخاوف التي أثارها أعداء الوحدة، فجاءت قرارات المؤتمر اعترافاً واضحاً للعهد الصالح الجديد، وشرعيته ومبشراً بعهد زاهر للربوع المقدسة، في ظل حكم الملك الإمام.

المبحث الخامس: إقامة الهجر وتوطين البادية:-

العارف بأحوال الجزيرة العربية وسعة رقعتها وتناثر سكانها، يدرك مدى الصعوبة البالغة في تقديم الخدمات لأهلها، مما يؤدي إلى بعثرة الجهود وهدر الطاقات، دون فائدة تناسب مقابلة ذلك الجهد المبذول، وهذا ما حمل الملك الإمام عبد العزيز - رحمه الله - أثناء قيامه بلم شعث الجزيرة العربية إلى جمع وتوطين فلول البادية ومن في حكمهم، في كيانات ثابتة تتوفر فيها أسباب العيش الكريم، يمكن من خلالها تقديم الخدمات بأيسر السبل، وأقل التكاليف، وتحقق في ذات الوقت سهولة توجيه البادية عقدياً وعلمياً نحو منهج موحد يحقق الوحدة المنشودة، بعيداً عن القالة والإشاعة التي تقف عادة وراء كل فتنة، وعند سماع مناد الجهاد يهب الجميع من قرب وبقوة دافعة وجماعة شاملة نحو المقصد المحدد دون تأخير، وقد كانت خطوة بارعة اتخذها الملك بمشاورة والده الحكيم، أدت إلى تربية أبناء البادية وبث روح الجهاد والحماس بينهم، وتوجيه حماسهم وتوظيف مناقبهم في نصرة الدين الحق.

وقد أنشئت أول هجرة، على آبار الأرطاوية الواقعة على الطريق بين الزلفي والكويت سنة 1330هـ، وسكنها سعد بن مثيب أحد شيوخ حرب ثم أعطيت لفيصل الدويش وجماعته من (مطير)[٢٢]. وأصبحت خلال بضع سنوات مدينة عامرة فيها من السكان ما يزيد على عشرين ألفاً، ثم ازداد عدد الهجر والتي تكونت بفضل حركة الهجرة، التي سرت دعوتها وفضلها بين أوساط البادية باعتبار أنها هجرة دينية محضة فباعوا الإبل، وأقبلوا على دراسة الدين، وغصت بهم المساجد حتى بلغ عدد الهجر في عهد الملك الإمام 153 هجرة[٢٣] وصفها أحد الكتاب بأنها معسكرات في أنحاء البادية، والإخوان سكان هذه المعسكرات، وقسمت كل هجرة إلى ثلاث فئات فيما يلي بيانها.

1- الفئة الأولى، التي يجب على أفرادها أن يكونوا دائماً مستعدين لتلبية أمر الجهاد، متى أصدره الإمام، ومن ثم فإن كل فرد من أفرادها يجب أن يكون مسلحاً، وعنده ناقة يمتطيها بالإضافة إلى الذخيرة التي تلزمه..

2- الفئة الثانية: وهي التي يجب على أفرادها تلبية نداء الإمام عندما يعلن أن الجهاد

١٩الوجيز ص112-116.
٢٠المصدر السابق ص 120.
٢١تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ت د/ مديحة درويش ص 142.
٢٢الوجيز ص 70.
٢٣الوجيز ص70.

(مثنى) ويكون كل مجاهد مكلف بإحضار مجاهد آخر بين رفاقه يردفه على جمله.

3- الفئة الثالثة: يكون كل فرد من أفرادها على استعداد لتلبية دعوة الجهاد، عندما يعلن العلماء هذه المرة، بناء على اقتراح الإمام، النفير العام للدفاع عن الوطن، فيشترك فيها الذكور البالغين، بينما يبقى العمل في الأرض والتجارة على عاتق المسنين من الرجال والأولاد والنساء[٢٤]. وقد كان لهذه الوسيلة الفذة، أثراً عظيماً في توسيع نطاق الجهاد المبارك، وتمكين العربي من أداء رسالة واضحة، ومهمة محددة في بناء الوحدة الكبرى، تنصهر في بوتقتها الإيمانية وشايج العلاقات الأسرية والقبلية، جنوداً مجاهدين ومحاربين مخلصين، ينشدون الشهادة في سبيل الله، ونصرة دعوة الحق المبين.

المبحث السادس: البلاغات والخطب:-

يعد الاتصال بآحاد الناس مطلباً ضرورياً، لكل من رام النجاح الدعوي والتأثير الأممي، حيث يتيح ذلك توسعاً أفقياً غير محدود، ويغطي ما قد يكون قصوراً وضعفاً في الوسائل الأخرى، وتحقيق طموحات الدعاة التي قد لا تسع أعمارهم، ولما كان الملك الإمام عبد العزيز - رحمه الله - بصدد وحدة كبرى، لم يدع وسيلة نافعة، لتحقيق هدفه المنشود إلا استخدمها، مراعياً الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب، فكان -رحمه الله - حريصاً على الاتصال بآحاد الناس، وجمهور الأمة وحثهم على لزوم الوحدة ونبذ الفرقة وتحقيق العدالة، فعمل على إخراج البلاغات الدعوية لفئة من الناس التي لا يتسنى للملك الإمام اللقاء بهم مباشرة، وذلك من خلال منشورات توزع على الناس أو تعلق في الأماكن العامة، أو تنشر في الصحف الرسمية، أما إذا أتيحت له الفرصة في اللقاءات العامة فإنه لا يدع الفرصة تمر إلا اهتبلها لعرض منهجه الوحدوي ومسلكه الوطني نحو الوحدة، ولا يسعني في هذا المقام استعراض تلك البلاغات والخطب وأكتفي بإيراد نموذج واحد منها يفي بالمقصود -إن شاء الله-. ففي بلاغ علق في المسجد النبوي ورد فيه ما يلي:-

"من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه، أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا. وعلى كل موظف بالبريد أو البرق، أن يتقبل الشكاوي من رعيتنا ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي، وليعلم كل موظف، يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية، عن تقديم شكواه مهما تكن قيمتها، أو يحاول التأثير عليه، ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد.

لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلغت، اللهم فاشهد"[٢٥] ونلاحظ في هذا البلاغ التأكيد الجازم على رفع المظالم، إلى مقام الملك الإمام، دون عائق أو تدخل من جهة رسمية أو غيرها متخذاً من التحذير الشديد، أسلوباً واضحاً لطمأنة المواطنين بأن شكاياتهم، ستجد طريقها إلى الحل، دونما إخلال بفحواها أو تغيير ألفاظها أو تخفيف لهجتها، وستنقل كما هي بنصها، معلناً أنه سينصف المظلوم من الظالم، مهما كان مصدر الظلم أو جهته، وليس من شك في تأثير هذا البلاغ وانعكاسه على تقوية الوحدة وتماسكها إذ يجد الناظر بين دفتي البلاغ العدالة ناطقة والنصفة راسخة، والبراءة من الظلم صرخة مدوية، وتلك أسباب بناء العمران البشري، والاستقرار البشري على مر العصور. وأما خطبه فجاءت مفعمة بالصدق طافحة بالإخلاص، تسرى روح الإيمان إلى قائلها فضلاً عن سامعها، فقد أعطي أزمة الفصاحة وأعنة البلاغة، مع صدق اللهجة، والبعد عن التكلف والتصنع يقول أحد معاصريه، والمقربين منه "لم يكن يهيئ الخطبة كما يفعل أكثر الناس ويعرف أنه يخطب، إلا من ارتفاع صوته هادراً، يتحدث حين يخطب منطلقاً على سجيته، غير متأنق ولا متكلف، ويتناول الموضوع، فإن كان عادياً تكلم هادئاً متمهلاً، تتخلل قوله ابتسامة خفيفة، يجتذب قلوب سامعيه وإن لم تكن الابتسامة، فليس هناك عبوس ولا تجهم، أما إذا كان الموضوع لأمر جلل، فكان الخطيب حقاً، المتجهم المزمجر، لا يتلكأ ولا يتعلثم ولا يتمتم ولا يجمجم، وإذا كان في الخطباء، من يدركه العثار حين يستثار، فالملك عبد العزيز كان أبين ما تراه حين يجد الجد ويقندح الزند، فكان عجباً في سرعة الخاطر إذا تحدث، وفي قول الحجة إذا أراد الإقناع"[٢٦] ومن نماذج خطبه العظيمة، ما ألقاه في زيارته إلى المدينة النبوية حيث قال: "إننا نبذل النفس والنفيس في سبيل راحة هذه البلاد وحمايتها، من عبث العابثين، ولنا الفخر العظيم في ذلك، وإن خطتي التي سرت عليها، ولا أزال أسير عليها هي إقامة الشريعة السمحة كما أنني أرى من واجبي، ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف، إنني اعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخاً وصغيركم ابناً، فكونوا يداً واحدة، وألفوا بين قلوبكم لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا، إنني خادم في هذه البلاد العربية، لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية، الملك لله وحده، وما نحن إلا خدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، ونأخذ على ظالمهم، وننصح لهم ونسهر على صالحهم فنكون قد خنا الأمانة المودعة إلينا.

٢٤تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين لمديحة درويش ص 162-164.

٢٥الوجيز ص 158-187.

٢٦الوجيز باختصار ص211-213.

إننا لا تهمنا الأسماء والألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد، والنظر في الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا، إن من حقكم علينا النصح لكم، فإذا رأيتم خطأ من موظف، أو تجاوزاً من إنسان، فعليكم برفع ذلك إلينا، ننظر فيه، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولاتكم"[٢٧] .

وهذا غيض من فيض خطبه الحكيمة، التي لا مست أحاسيس المواطنين وأجابت على تساؤلاتهم المكنونة. وعمقت جذور وحدتهم المصونة، وانسابت في جوارحهم بلسماً شافياً، مكن أواصر المحبة وأوثق وشايج المواطنة الصالحة، بين عموم سكان المملكة.

المبحث السابع: الاستعانة بالعلماء:-

ثمة عوامل استكشافية، عن ما هية الدولة الخيرة في الإسلام، والتي يعد بروزها في الواقع منطقياً، أو تحصيل حاصل، لامتلاكها حق الظهور والديمومة، المنبثق من تناغم وتوائم، بين السنان والبرهان، في وحدة البناء والتصور والتطبيق، وتلك الخاصية سمة بارزة، للدول الخيرة في التاريخ الإسلامي، ويأتي في طليعتها الدولة السعودية في عهودها الثلاثة، حيث كانت الدعوة إلى الله، علة نشأتها، وسر قوتها، وعامل استمرارها يقول الشيخ العلامة عبد الله عبد اللطيف - رحمه الله -: "فتجرد الحبر الجليل للدعوة إلى الله أي -الشيخ محمد بن عبد الوهاب - وآزره على ذلك، من سبقت له من الله سابقة السعادة، من أسلاف آل مقرن الماضين وآبائهم المتقدمين - رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عن الإسلام خيراً - فما زالوا على ذلك، على آثار حميدة، ونعم عديدة، يصنع لهم تعالى من عظيم صنعه، وخفي لطفه، ما هداهم به إلى دينه الذي ارتضاه لنفسه، واختص من شاء كرامته وسعادته من خلقه، وأظهر لهم الدولة والصولة، ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة، لا تزاحمهم فيها العرب العرباء، ولا يتطاول إليها بنو ماء السماء"[٢٨] ولم يزل يتوارث الأحفاد ما سار عليه الأجداد من إكرام أهل العلم، واتخاذهم أعواناً وبطانة ومستشارين، فمنذ أن دخل الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله -الرياض، سانده العلماء، فكلفهم بالتعليم والقضاء، والتوجيه والإرشاد، وحين بدو بذور الفتنة وسنوح مظاهر المعصية، من بعض الفئات، وجه إليهم العلماء لإقامة الحجة، وإزالة الشبهة، فنزلوا بساحتهم، معلمين مرشدين منهم: الشيخ عبد الله بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد الله بن بليهيد، والشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، -رحمهم الله رحمة واسعة - فحرصوا على توطيد دعائم الوحدة، وتأصيلها وفق قواعد الشرع ففي رسالة للشيخين الجليلين محمد بن عبد اللطيف والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمهما الله جاء فيها "ومما أدخل السطان إساءة الظن بولي الأمر، أو عدم الطاعة، فإن هذا من أعظم المعاصي وهو من دين الجاهلية، الذين لا يرون السمع الطاعة لولي الأمر في العسر واليسر، والمنشط والمكره حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أسمع وأطع، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك"[٢٩] فتحرم معصيته، والاعتراض عليه في ولايته، وفي معاملته وفي معاقدته، لأنه نائب المسلمين، والناظر في مصالحهم، ونظره لهم، خير لهم من نظرهم لأنفسهم، لأن بولايته يستقيم نظام الدين، وتتفق كلمة المسلمين، لا سيما وقد منّ الله عليكم بإمام ولايته ولاية دينية، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين خصوصاً المتدينين"[٣٠] .

وحين اعترض بعضهم على استخدام المخترعات الحديثة، وتسخيرها في خدمة الحياة اليومية، انبرى العلماء بفقه حكيم، وإرشاد سليم، إلى توضيح روح الشريعة الإسلامية، وموقفها المساند، لكل نافع مفيد، وتكيفها واستيعابها لكل جديد، وكان الملك الإمام يجل العلماء ويتودد إليهم، وفي رسالة تفيض حباً وثناءً، وجهها الملك الإمام للعلماء، تدل على مدى العلاقة الحميمة بينه وبين العلماء يقول -رحمه الله-: "من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل. إلى حضرات الإخوان الكرام، قرة عيني وبهجة قلبي، علماء المسلمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلني، كتابكم المكرم، الذي هو غاية مرادي، والذي ابتهج به قلبي، سرني غاية السرور، وقد أخذته بعين القبول، وهذا الذي يجعلني أزداد حباً لكم ووثوقاً بكم، وهذا الذي أرجوا أن يكون دائماً منكم لي، ولأمثالي بالنصيحة، وأن الله يجعل القبول مني، وممن ولاة الله أمر المسلمين، بذلك أني أقول: رب إني ظلمت نفسي فأغفر لي، فما عملته من عمل موافق لكتاب الله فهو من الله، وما عملته مخالفاً لأوامر الله فهو مني ومن الشيطان واستغفر الله، وبحول الله وقوته سترون إن شاء الله - مايسركم في أمر يعلي الله به كلمته، ويزيل الله به كل أمر يخالف أوامره بحوله وقوته، وإني لأزال رهين فضلكم، ونصائحكم الثمينة وأرجو من الله أن يحيينا على

---

[٢٧] المصدر السابق ص215-216.

[٢٨] الدرر السنية ج7 ص297.

[٢٩] رواه مسلم ج3 ص1476، وابن حبان انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج7 ص45 عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

[٣٠] الدعوة في عهد الملك الإمام عبد العزيز ج1 ص152.

ملة الإسلام، ويقيم بنا أوامره ويرسل الله فضله وكرمه - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" [٣١].
على هذا المنوال، كانت العلاقة بين العلماء والملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- حيث أصبح، ذلك نهجاً ثابتاً للملك الإمام وأبنائه البررة من بعده، وهكذا ندرك مدى عناية الملك الإمام بحشد ما تطاله قدرته من وسائل الوحدة لإنجاح طلبته، وإدراك غايته، بيد أنه حرص على إضفاء روح الشريعة وآدابها على وسائله، فجاءت في قالب من الكمال الحقيقي والسمو الأدبي، حيث اصطبغت بالأساليب المؤثرة والطرائق النافعة.

٣١جريدة أم القرى العدد 341 سنة 1350هـ.

تابع لمنهج الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

الفصل الثالث

أساليب الملك الإمام عبد العزيز في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة

تقاس نتائج الجهود والأنشطة على قدر ارتباط وسائلها بأساليبها كماً وكيفاً، فالوسيلة يوجهها الأسلوب ويستنفذ طاقاتها، فعلى قدر حسن الأسلوب وفعاليته تحسن الوسيلة وتثمر والعكس صحيح، فقد تتفق الوسيلة بين عدة أفراد، وغاياتهم واحدة، ولكنهم يتفاضلون في النتائج والثمرات، على قدر حسن استخدامهم للوسائل وتوجيهها نحو هدفها بحكمة واتزان، وهذا ما نسمية الأسلوب، وكذا ارتبط منهج الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة، بحسن الوسيلة والأسلوب معاً - دون انفصام في أي وقت، وكانت جهوده على مستوى الحدث دون مبالغة أو تفريط، فتجاوز العقبات التقليدية والطارئة، على نمط يثير الإعجاب ويأخذ الألباب، وأشير هنا إلى أهم الأساليب والتي يندرج تحتها عدد لا حصر له من الشواهد والصور مما لا يمكن جمعه في بحث موجز، وفيما يلي بيان بأهم أساليب الملك الإمام، لتحقيق الوحدة الكبرى.

المبحث الأول: الحكمة:-

اصطبغت تطبيقات الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- في سبيل تحقيق الوحدة بالحكمة قلباً وقالباً، علماً وعملاً، ترسخت في نفسه وتأصلت في نهجه، وغدت ملكة طيعة في متناول يده، وجاءت قراراته مناسبة لمقتضى الحال، ومن شواهد حكمته، انطلاقه من الكويت بقوة صغيرة محدودة العدد، لم يفطن لحركتها ولا ترصد مسيرتها وإن كان باستطاعته تجنيد العدد الكبير من أفراد القبائل، واستدراجها تحت مظلة المغنم والغزو والنهب، مما يألفه العرب في ذلك الوقت ولا سيما الموتورون والفقراء، وما أكثرهم يومئذ!! ولكنه آثر إخفاء أمره، وتعمية مقصده، بعيداً عن الأنظار، ليقينه بنجاح مهمته فكان ذلك آية حكمته، ودليل بصيرته، مما مكنه - بفضل الله - من فتح الرياض، واستسلام حاميتها، وشروعه مباشرة، في بناء التحصينات الدفاعية، حول الرياض في خلال شهر[١] ومن دلائل حكمته، عنايته بالعقيدة وجعلها محور دعوته إلى الوحدة وركيزتها حرصاً على إصلاح المنهج، وسلامة المقصد، وضماناً للنجاح، حيث أن النفوس لا تخلص من أهوائها، وتنسلخ من غلوائها، إلا بالعقيدة الصحيحة التي من شأنها توحيد الرؤى وحشد العواطف والطاقات، نحو أهدافها السامية وغاياتها النبيلة، مما يصرف عن العثار ويحقق النصر المؤزر -بإذن الله - وهذا ما سار عليه آباء الملك الإمام من قبل، فكانت تجربة سعودية متوارثة، اقتداء بالسلف الصالح، فقد ثبت بالبرهان، أن أي جهد في الإصلاح، بمعزل عن العقيدة الصحيحة مآله الفشل، ونهايته الخسران، فمن المحال جمع القلوب على المصالح الدنيوية، مهما كانت ضخامتها، وعظيم امتيازاتها، فإنها ببساطة لا تستوعب الناس جميعاً إلا حفنة من المنتفعين الذين سرعان ما تتعارض مصالحهم، ويحل بعضهم بعضاً موضع النقمة والنقد اللاذع، الذي يؤول طبيعياً إلى طلب التشفي والانتقام، فتنفرط عقدتهم، وتزول ألفتهم، وتغدوا تلك المصالح علة الشقة وعامل الشقاق والخلاف، وأما العواطف، وإن تأجج أوارها فلا تصلح أساساً للوحدة، حيث تستحيل عادة إلى سآمة وملل، وتنتهي إلى مصارمة وجفاء، وبهذا فإن المال والعاطفة لا يصلحان أساسين لبناء الوحدة كما قال تعالى: **{لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}**[٢] ومن شواهد حكمته.

عنايته ببناء الهجر وتوطين البادية فيها، مما مكنه من جمعهم وتربيتهم وفق مضامين العقيدة الصحيحة، مما أدى إلى إقبال سكان الهجر على الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، في أي وقت يطلب منهم الملك الإمام، فأصبحوا جنود التوحيد، مما يعد تحولاً جذرياً في حياتهم صيرهم نحو التمسك بالإسلام الحق، وصرفهم عن مسلكهم السابق إلى غير رجعة - بفضل الله-

---

١ الوجيز ص30

٢ سورة الأنفال آية 63

ومن صور حكمته تعامله بأناة ولباقة، مع أحداث عصره، فإبان الحربين العالميتين لازم جانب الحياد، مراعياً حساسيات المواقف الدولية مما جنب وطنه وشعبه ويلات الحرب، يقول الملك فيصل - رحمه الله - في حج عام 1359هـ: "ولا يجهل أحد ما فيه العالم اليوم من نكبات ومحن، حتى البلاد التي لم تشترك في الحرب، لا تخلو من أزمات اقتصادية وغيرها، أما نحن فلله الحمد من أسعد الناس وهذا لا شك من نعم الله التي تستوجب الشكر"[٣] ووسط آتون الحرب والصراع المحتوم بين الدول الكبرى على مناطق النفوذ، والسيطرة على الممرات المائية وطرق الملاحة، بدت سياسة الملك الإمام، تتسم بالهدوء والواقعية، دون المساس بعقيدته ومصالح بلاده العليا، مهتماً في ذات الوقت، بحسن الاستعداد، في كل عمل يقوم به، مبتعداً عن الإرتجالية، مع صرف الهمة إلى حسن التنظيم والدقة وتوقع المفاجآت والإعداد لها بلباقة وحزم، وتلك غيض من فيض حكمته، التي لا يتسع المقام لاستقراء شواهدها وصورها. وحسبنا الإشارة إلى بعضها فيما تقدم ذكره.

المبحث الثاني: اللطف واللين:-

لا جرم أن جمع القلوب المتنافرة على الحق مهمة عسيرة، لا يستطيعها إلا الأكفاء الملهمون والزعماء الموفقون، مما فتح الله لأحدهم باب التوفيق على مصراعيه، ونزع له من معينه بملء يديه، فإن استمالة القلوب آية البصيرة، وعنوان التوفيق وبرهان النجاح، فرب كلمة بليغة، تأخذ بمجامع الأفئدة، وكم من صفح وعفو ينسي الضغائن، ويقشع وحر الصدور، وما فتئ الملك الإمام يعامل خصومه ومناوئيه ومضطهدي مواطنيه بألوان التسامح والصفح، رغم نقض العهود ونكث الوعود، ولا يلجأ إلى القوة إلا مكرهاً، حين استنفاذ جميع الحلول المتاحة، يقول -رحمه الله-: "ليس لدينا أحب من السلام يغمر هذه الربوع، فنحن لسنا طالبي حرب، ولا نشهر السلاح إلا في وجه من يبارزنا بالسلاح، لقد آن لهذه البلاد أن تعرف السكينة، وتنعم بالسلام، فلنوحد صفوفنا وكلمتنا"[٤].

وسمع يتمثل كثيراً بقول الفرزدق

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم
إذا أثقل الأعناق حمل المغارم[٥]

ويصف أحد شهود العيان[٦] أثر أسلوب اللطف واللين في خصوم الملك الإمام يقول الأستاذ عبد الرحمن عزام- رحمه الله-: "كنت في عام 1938م ضيفاً له - يقصد الملك الإمام - في شمال نجد، وبقيت أياماً في البادية للقنص، وكلما جلسنا إلى طعام، وجدت حوله من قاتلوه أو قاتله آباؤهم، يمزحون ويمزح معهم ويشاركهم في قوله وماله ومتاعه، وهو يستمع لقصصهم، وقصص آبائهم معه، والهزائم التي ابتلي بها في قتالهم، والنصر الذي آتاه الله عليهم ويقسم إنه يراهم كما يرى أبنائه، ولا يرضى فيهم إلا ما يرضى لأبنائه".

ويقول شاهد آخر: "إني التقيت ببعض خصوم الملك السابقين فوجدتهم الآن، من أكبر أعوانه، ومن أكبر المطيعين والمؤيدين له، ويعود هذا إلى معامله الحلم، وهو النهج والأسلوب الذي كان يعامل به خصومه"[٧] وهكذا يتجلى لنا أثر أسلوب اللطف واللين للملك الإمام، وضرورته الوحدوية الناجحة، مما يدل قطعاً على أهمية استخدام هذا الأسلوب الحيوي، في تأليف القلوب ورص الصفوف، وتقوية أواصر المحبة والأخوة.

المبحث الثالث: الجدل الممدوح:-

---

٣ الوجيز ص249

٤ عبد العزيز والشخصية الإسلامية ص38

٥ المصدر السابق ص64

٦ هو الأستاذ عبد الوهاب عزام رحمه الله

٧ المتوكل على الودود ص342

لا مناص لأي مصلح نبيه وداعية حصيف، من أخذ أهبة الاستعداد لمواجهة الخصوم، وامتلاك ناصية التأثير، لإرشاد الضال، وتعليم الجاهل وإقناع المستنكف، وإقامة الحجة على المجادل، إمتثالاً لقوله تعالى: **{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[٨] وما كان للملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله - وقد تصدى لمهمة شاقة تنوء بأعناق عظماء الرجال، أن يغفل عن هذا الأسلوب، حيث أن خصوم الوحدة يومئذ كثيرون مختلفوا المآرب والرؤى، ولدى بعضهم من الشبهات على الدعوة السلفية ما يلزم تفنيدها حيث أن حملات خصوم الدعوة، بدأت تظهر على صفحات المجلات البارزة يومئذ وانطلقت تؤججها قوى شريرة، مارست التشويه لجهود الملك الإمام عن عمد، ولوثت عقول الكثير من أبناء المسلمين، مما دفع الملك الإمام اضطراراً إلى استخدام الجدل لإقناع مستمعيه، واهتبل كل فرصة سانحة لبيان منهجه في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة وسلامة مقصدها والرد على خصومها، وقد اكتسب خبرة في حياته وشبابه في هذا المضمار، إذ كلفه والده الإمام عبد الرحمن -رحمه الله- بإصلاح ذات البين بين القبائل العربية المتناحرة، فأدى ما أوكل إليه ببراعة واقتدار، بين أقوام عرفوا بسرعة البديهة ودقة الملاحظة وذلاقة اللسان، وحين حمل على عاتقه وحدة بلاده وشعبه، لم يزل يواجه بين الفينة والأخرى بعض العصاة، فكان يسعى إلى استمالتهم بالحجة والإقناع ولم يستنكف قط من سماع وجهات النظر الأخرى، ومناقشتها وكان -رحمه الله- يحب الحوار والمناقشة.

يقول أحد أفراد خاصة الملك الإمام: "كان دستور الملك عبد العزيز، **{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}**[٩] يعن له الأمر، أو يرفع إليه فيحيل فيه فكرته، وينتهي إلى حل له في نفسه يرضاه، ويجتمع مستشاروه، فيطرحه عليهم ويدرسونه، فإذا اتجهوا إلى البت فيه بما يتفق مع ما وصل إليه هو، أخذ بقولهم وأمضاه، وإلا ناقشهم، وأفضلهم عنده من يعترض ويناقض ثم يعمل بما يستقر عليه الرأي"[١٠] ومن أقواله النيرة في سبيل غربلة الأراء ومناقشتها قوله: "أريد الصراحة في القول، لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم رجل كذاب يكذب علي عن عمد، ورجل ذو هوى، ورجل متملق، فهؤلاء أبغض الناس عندي"[١١].

واهتبل -رحمه الله - موسم الحج، يرد على خصوم الدعوة السلفية التي أحياها الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- إذ يقول في إحدى مجالسة الموسمية "يسموننا بالوهابيين، ويسمى مذهبنا بالوهابي، باعتبار أنه مذهب خاص، هذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة، التي يبثها أهل الأغراض، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح. نحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق بين الأئمة، مالك والشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا"[١٢] ونلاحظ في هذا الطرح الجدلي امتلاك الملك الإمام، ناصية الجدل الممدوح، ففي البدء طرح الشبهة، ثم أبان سبب ظهورها وعلته، ثم كر عليها بالتفنيد العقلي والاستقراء التاريخي، مع التزامة بآداب الجدل، وعفة اللسان، وبعده عن الإسفاف والبذاءة التي يقع فيها الكثير من المتناظرين، تحت تأثير الانتصار لما يذهبون إليه، مما دل قطعاً على اقتداء الملك الإمام عبد العزيز - رحمه الله - بسلف الأمة وعلماءها الربانيين، وقد كان لهذه المقدرة الخطابية -بفضل الله- الأثر الكبير، في تقوية الوحدة الوطنية، وبيان حقيقة الدعوة السلفية.

---

٨ سورة النحل آية 125
٩ سورة الشورى آية 38
١٠ الوجيز ص160
١١ المصدر السابق ص 161
١٢ المصدر السابق ص217.

نتائج منهج الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله-
في تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة

تمخضت جهود الملك الإمام عبد العزيز - رحمه الله - في سبيل تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة إلى نتائج باهرة وثمرات يانعة، لا يزال أبناء شعبه، ينعمون ببركاتها المتدفقة وخيراتها المستمرة دون منّ ولا أذى، وحين استعراض النتائج تلك، ندرك مدى المنّ الربانية، التي أسبغها الله على هذه البلاد الطيب أهلها، والتي تدفعنا في ذات الوقت، إلى لزوم غرز الملك الإمام والمحافظة على ثمرات جهاده ومكتسبات حصاده التي ضحى من أجلها بالنفس والمال والولد، في ثلاثة عقود من عمره المبارك، طافحة بلآلام، وشاهدة على تحمل المشاق والصبر والمرابطة، ومن أبرز تلك النتائج:-

1- بعث أمة خامدة ممزقة الأوصال، مختلفة الرؤى، متناحرة القوى، فنقلها - بفضل الله - إلى أمة قوية الوشايج عظيمة الجانب، متعددة المناقب، أعادت مكانتها الكبيرة وقيادتها التاريخية بين الأمم.

2- تجديد الدعوة الإسلامية، وتوحيد جهود الدعاة نحو تصفية العقيدة، وإصلاح العبادة، وتقويم السلوك، وإقامة مجتمع مسلم زكي، يفيض بالهداية وينعم بالاستقامة.

3- إقامة دولة إسلامية تحكم بشرع الله تستثمر طاقاتها ومكتسباتها لخدمة الإسلام، وبسط نوره في المشارق والمغارب، وتقديم العون والمساعدة للمسلمين، ونصرة قضاياهم.

4- تحقيق الأمن المفقود في جزيرة العرب وتأمين طرقها للسالكين، وتهيئة مشاعر الحج لقاصديها بما يليق بقداستها وحرمتها، وفي مقدمة ذلك، عمارة الحرمين الشريفين، على أعلى المستويات وأرقاها.

5- القضاء على عوامل التخلف، من جهل صارف، وشرك وبدع خوالف، فعادت راية التوحيد خفاقة على جزيرة العرب من جديد، تحت قيادة الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- وأبنائه البررة المخلصين من بعده.

6- البرهنة العملية على إمكانية إعادة أمجاد المسلمين وفق مضامين الشرع الحنيف، وإثبات أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، مع الأخذ بأسباب الحياة العصرية وتطورها، دون التنازل عن المضامين العقدية والشرعية.

الخاتمة
وفيها الدروس والعبر

لا يخفى على الباحث أن المقصود من تاريخ العباقرة والنابغين، لا ينحصر في مفهوم ضيق يقف عند حد تسجيل الرواية التاريخية، وإنما يتجاوزها إلى الدراسة والتحليل، والفحص والتنقيب عن العوامل والأسباب المؤثرة في نجاحهم، وكيفية توظيفها في قوالب عملية وتربوية قابلة للتنفيذ، وليس من شك أن حياة الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله - حافلة بالدروس والعبر، ولا سيما في نهجه السديد نحو تحقيق الوحدة ونبذ الفرقة. والذي يعد معلماً بارزاً في جهاده ومنارة رائعة في حياته، ويظهر لنا بادي الرأي أنه يمكن تلخيصها على النحو التالي:-

1- ضرورة أن يعنى المربون بغرس عقيدة التوحيد في نفوس الناشئة، وأخذهم بلباقة إلى دراسة مفرداتها منذ الصغر لتكون وسيلة لتشكيل عقولهم وتوجيه سلوكهم وفق مضامينها وحقائقها، فقد اكتسب الملك الإمام، منذ صغره حصانة عقدية، أسهمت بوضوح في تجديد نهجه، وبناء شخصيته، وتوجيه سلوكه، نحو معالي الأمور غير هياب ولا وجل، متطلعاً في الوقت نفسه إلى تحقيق ما شيده آباؤه وزيادة.

2- لزوم أن يروض الآباء أبناءهم على تحمل المسؤولية وإسناد المهمات الصعبة إليهم وفق استعدادهم الفطري وتدرجهم المعرفي لتقوية عودهم، وإنضاج تجربتهم، ليخرجوا إلى الحياة وتحمل تبعاتها، بكفاءة، واستعداد واقتدار.

3- وجوب توطين النفس على المشاق والمتاعب لصقل موهبتها، وإصلاح رعونتها، وتوسيع مداركها، وإثراء خبرتها لإستقبال ما يوكل إليها في المستقبل من الأعمال الشاقة، وتمثل حياة الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله - ملحمة رائعة لزعيم تهيأ تحت مطارق الشدة والابتلاء، لبعث

أمة خامدة، خبر عللها، وسبر غورها، وألم بمشكلاتها وتلظى بآلامها، مما مكنه الله تعالى، من تحقيق حلمه الرشيد وأمله السديد، رغم شدة الصوارف، وكلبة الأعداء، وقلة الأعوان، وندرة الوسائل المادية الأخرى.

4- لا ريب أن الاحتكاك بأهل الخبرة والتجربة، تحقق للمرء سعة في الأفق وبسطة في العقل وتوسعاً في الفهم، يصعب نيله في قمقم العزلة وزاوية الانطواء، وقد أتيح للملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- صحبة والده الإمام عبد الرحمن -رحمه الله - الذي عرف عنه رجاحة الرأي، والخبرة بأحوال الجزيرة وأهلها مع وفرة العقل والدين، فاكتسب منه وعلى عينه الخلال الحميدة والصفات القيادية السديدة، وفي أثناء إقامته بالكويت، بجانب أميرها الشيخ مبارك الصباح -رحمه الله - لازم جليساً نابهاً، وأنيساً فطناً، وسميراً بارعاً، تعرف بواسطته على مجريات السياسة الدولية وأطلع على مجريات الصراع بينها، مما جعله يحدد وجهته، وسط هذا الصراع المحتدم، والتعامل معه ببراعة وذكاء، سخره لخدمة دينه وبلاده وشعبه.

5- إن الإرادة القوية والهمة المتوثبة وصف لأي داعية يروم الإصلاح ويتطلع إلى الغد المشرق لأمته، فاليأس والقنوط لم يعرف طريقه إلى نفس الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله - وهو يحشد طاقاته ويدير أموره ويحبك خططه، وكان أمله غير المحدود، وإيمانه بالنصر هجيري وسميري قلبه ونجيي فؤاده، رغم بعض النكسات والهزائم، فالمستحيل وغير الممكن لا يصح اعتبارهما عائقاً في سبيل الإصلاح، لمن فهم صيرورة الحياة وسبر مسيرتها وحذق قانون الصراع البشري، الذي تؤثر فيه الأهواء، وتدفعه الرغبات، فتحديد الهدف النبيل وتوفير الحد الأدنى من الوسائل المناسبة لتطبيقه، مؤشر قوي على تحقيق الغاية، وتسجيل النصر المؤزر بإذن الله.

6- لا تدور عجلة الإصلاح، دون قوة كامنة ورغبة صادقة وحركة دؤوبة، وكل ذلك يستلزم قوة لا تقهر، وطاقة لا تستنفذ، تمد القائمين على برامج الإصلاح، بالإرادة المعنوية دون أن تقعدهم السآمة، أو يفت في عضدهم الملل، فضلاً عن الوقوف بصلابة أمام الشدائد والمحن، ومن أجل ذلك جعل الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- العقيدة الصحيحة محور استراتيجيته الإصلاحية، وروح حركته الوحدوية، مما وفر عليه الكثير مما يحتاجه في دعم إصلاحاته، فأقبلت إليه الجموع، كل يرغب أن ينال شرف نصرة الدين، وإعلاء كلمة التوحيد، ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى. فليس ثمة وسيلة تجمع القلوب، وتؤلف النفوس دون أن تسوقهم رغبة أورهبة، كمثل عقيدة التوحيد. التي وحدت العرب في سالف دهرهم وغابر زمانهم، رغم شدة أنفتهم، ورهافة إحساسهم، وقوة شكيمتهم، والذين يعدون التواضع مذلة، والتنازل عن الحقوق ضعفاً، ويعترفون بالفوارق العرقية، ويعظمون الوشايج القبلية، فصهرتهم عقيدة التوحيد، قلباً واحداً وانسلخوا من تلك المشاعر الاستفزازية إلى مرسى الأخلاق الإسلامية، فحقق الملك الإمام- بفضل الله - للأحفاد ما نعم به الأجداد، واتصل الماضي بالحاضر، وبرهنت العقيدة على ديمومتها في الوحدة، ومعجزتها في التغيير والإصلاح.

7- من الضرورة أن تنطلق حركة الإصلاح، وتتجة جهود القائمين عليها، على نحو من التناسب والتقسيم، ليحمل كل فرد نصيبه ومسؤوليته وأمانته، على قدر طاقته وقدرته، ولم يغب عن ذهن الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله- إشراك أفراد أسرته وشعبه، وفي طليعتهم الأمراء والعلماء، والذي كان الجميع رهن إشارته وطوع أمره، مما فتح الباب واسعاً أمام التنافس والتسابق الشريف، تحت ظل حكم الملك الإمام بطواعية ورغبة صادقة، يحدوا الجميع حبهم الكامن للملك الإمام، ومعرفتهم بنبل مقصده، وجلالة هدفه.

8- إن اصطباغ الحياة بشرع الله، وتقييد حركة الإصلاح به عصمة من الزلل، وضمان من الإنحراف والفشل، ولقد كان الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله - حريصاً على تتبع خطى الشرع الحنيف، والالتزام بأحكامه، حيث مكنه الله في الأرض، ونيل ثمرات الوحدة دون الوقوع في المحاذير والآفات، وفي هذا درس لسائر المصلحين الذين ينشدون الإصلاح والخير للناس، ويسعون في هداهم وإرشادهم أن يعلموا ضرورة الالتزام المطلق بالشريعة في الوسائل والأساليب والأهداف.

9- كل ذي غاية نبيلة ومقصد طيب حري أن ينعكس هذا على مظهره ومدخله ومخرجه،

ليعطي صورة طبق الأصل لما يدعو إليه، وحينئذ فإن النصر حليفه، والتوفيق قرينه، فقد اتصف الملك الإمام عبد العزيز -رحمه الله - بحسن النية وصلاحها، مع اجتهاده -رحمه الله- بالتضرع لله في الخلوات والإكثار من الاستغفار، وتعفير الجبين في الطاعات، فأعلى الله مقامه ورفع شأنه وسط أعداء كثيرين يزيدون عليه عدداً وعدة، فزالت قوتهم واندثرت هيبتهم وتلاشت سطوتهم، ونصر الله عبده الملك الإمام الصالح عبد العزيز -رحمه الله- وحقق مناه، وأبدله بعد الفقر غنى، وصير ضعفه قوة، وخوفه أمناً، وغدت المملكة العربية السعودية روضة فيحاء للأمن والأمان ومثابة للسعادة والاطمئنان.

أدام الله عزها ورفع شأنها

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الحديث الشريف

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان
ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي
مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط 1 1407هـ.

الكتب الأخرى:

1- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح العمراني والديني في جزيرة العرب:
ت محمد حامد الفقي ط1 القاهرة 1354هـ.

2- تاريخ العرب الحديث والمعاصر:
ت عبد الرحيم عبد الرحمن ط2 القاهرة.

3- تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين:
ت د/ مديحة أحمد درويش ط3 جده 1405هـ.

4- تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها:
ت صلاح الدين مختار منشورات دار الحياه بيروت.

5- توحيد المملكة:
ت محمد المانع ط1 الدمام.

6- جزيرة العرب في القرن العشرين:
ت حافظ وهبة ط1 القاهرة 1955م.

7 - حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز:
ت رابح لطفي جمعة منشورات دارة الملك عبد العزيز.

8 - الحركة الوهابية :
(رد على مقال الدكتور محمد البهي في نقد الوهابية) بقلم د/ محمد خليل هراس طبع توزيع الجامعة الإسلامية 1396هـ.

9 - الدعوة في عهد الملك عبد العزيز:
ت د / محمد ناصر الشثري ط1 1417هـ.

10- الدرر السنية في الأجوبة النجدية:
جمع عبد الرحمن قاسم ط بيروت 1385هـ.

11- السعوديون والحل الإسلامي:
ت محمد جلال كشك ط 1 القاهرة 1404هـ.

12- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز:
ت خير الدين الزركلي ط 1 دار الملايين بيروت.

13- عبد العزيز وعبقرية الشخصية الإسلامية:
ت د/ عبد العزيز شرف / محمد إبراهيم شعبان ط1 1403هـ مصر.

14- عنوان المجد في شارع نجد:
ت عثمان بن بشر ط4 الرياض 1402هـ.

15- المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود:
ت محمد منبر أحمد البديوي ط1 1387هـ.
16- المصحف والسيف:
ت محي الدين القابسي ط2 الرياض.
17- الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة:
ت سعود سعد الدريب ط1 جدة 1408هـ.
18- من تاريخ الملك عبد العزيز ومواقفه النادرة:
ت سعد الرويشد منشوارت جامعة الإمام.
19- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز:
ت خير الدين الزركلي دار العلم للملايين بيروت ط4 1984م.
الجرائد:
جريدة أم القرى العدد 228 - 333 - 341 - 342 - 432 - 989.